مؤسسة بناء للتنمية الإنسانية

الرَّوْضَةُ النَّدِيَّةُ

في شرح

الأربعين الحضرمية

جمعها وقدَّم لها الشَّيخ

صالح بن محمد باكرمان

شرحها واعتنى بها تلميذه

عصام بن محمد باسنبل

الرَّوْضَةُ النَّدِيَّةُ

فِي شَرْحِ الأَرْبَعِينَ الحَضْرَمِيَّةِ

اسم الكتاب: الرَّوْضَةُ النَّدِيَّةُ في شَرْحِ الأَرْبَعِينَ الحَضْرَمِيَّةِ

اسم المؤلف: عصام بن محمد بن سالم باسنبل

عدد الصفحات: ١٠٧ ص

مقاس الكتاب: ١٧ * ٢٤ سم

رقم الإيداع:

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

يمنع طباعة أو تصوير هذا الكتاب أو إعادة نشره بكافة النشر العادي أو الإلكتروني
إلا بإذن خطي من المؤلف، وكل من يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

736578572

الرَّوضَةُ النَّدِيَّةُ

فِي شَرْحِ

الأَرْبَعِينَ الحَضْرَمِيَّةِ

جمعها وقدَّم لها الشَّيخ

صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاكَرْمَان

شرحها واعتنى بها تلميذه

عِصَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاسُنْبُل

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بَينَ يَدَي الرِّسَالَة

الحَمدُ لله ربِّ العَالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلِين، نبيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلى آلهِ وَصَحبهِ أَجمَعِينَ، وبَعدُ:

فبين يديكَ – أخي القارئ – رسالة حَوَتْ أربعينَ حديثًا في أبوابٍ مختلفةٍ في العقيدةِ والأخلاقِ والآدابِ والقُرُباتِ، سطَّرها بنانُ شيخنا الفاضل أبي مجاهد صالح بن محمد بن عبد الرَّحمن باكرمان – حفظه الله تعالى وأمدَّ عمره بطاعته ونفع به وبعلمه الإسلام والمسلمين – اقتداءً بمن سَبَقهُ مِنَ الأئمَّةِ ممَّن جمعوا أحاديثَ الأربعينَ عن النَّبيِّ ﷺ كالإمام النَّووي، ومنهم مَن أوصلها إلى الخمسين كابن رجبٍ رحمهما الله تعالى؛ ليسهل على طالبِ العلمِ حفظها والانتفاع بها.

وقد عَنْوَنَ شيخنا – حفظه الله – لكلِّ حديثٍ بعنوانٍ خاصٍّ به؛ ممَّا يسهِّل لطالبِ العلمِ الاستدلال به واستذكاره.

وأمَّا عملي في هذه الرِّسالة يتلخَّصُ في الآتي:

* خرَّجتُ الأحاديث تخريجًا مُختصرًا بمَا اكتفى عليه شيخنا حفظه الله تعالى.
* إذا كان الحديثُ في غير الصَّحيحين فإنِّي أعتمدُ حُكمَ الشَّيخ المحدِّث الألباني

رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه.

* بيَّنتُ بعض غريب الألفاظ في الأحاديث التي تحتاج إلى ذلك.
* ذكرتُ المعنى العام لكلِّ حديثٍ دون شرحٍ مفصَّلٍ أو التَّعرُّض لمسائله؛ ليسهل فهمَهُ ويُعرَف مُحتواه، ويكون منهجًا لطلَّابِ الدَّوراتِ العلميَّة الخاصَّة بصغار طلَّاب العلم، ويستفيد منها عامَّة النَّاس، كما أراده المؤلف، وذكره في مقدِّمته بقوله: "حرصتُ على أن تكون في مستوى صغار طلاب العلم".
* لم أذكر المصادر التي رجعت إليها في بيان معنى الأحاديث للتَّخفيف والتَّسهيل.

والله أسال أن يرزُقنا الإخلاص في القول والعمل، ويتقبَّل منَّا صالح الأعمال، ويحفظ شيخنا ويبارك فيه، وينفع به وبعلمه الإسلام والمسلمين، وينفع بالرِّسالة كلَّ مَن قرأها، أو نشرها، أو استفاد منها، إنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٍ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

عصام بن محمَّد بن سالم باسنبل

تاسوعاء ١٤٤٧هـ

تقديم الشَّيخ

صالح بن محمَّد باكرمان

الحمدُ لله وحده، والصَّلاةُ والسَّلام على مَن لا نبيَّ بعده، أمَّا بعد:

فقد اطَّلعتُ على شرح الدكتور عصام باسنبل حفظه الله المسمَّى (الرَّوضة النَّديَّة) على رسالتي في الحديث المسمَّاة (الأربعون الحضرميَّة).. فوجدته شرحًا سهلًا عذبًا، مبيِّنًا لألفاظ الأحاديث، وموضِّحًا لمعانيها العامَّة، بلغةٍ جميلةٍ، وأسلوبٍ شيِّق، وأعجبتني طريقته في الشَّرح الإجمالي الذي يحتاجه المبتدئون والعامَّة؛ لذلك فإنِّي أوصي أن يُقرأ هذا الشَّرح على العامَّة في المساجد، وأسأل الله تعالى أن يتقبَّل هذا العمل، وأن يكتب لي وللشَّارح بذلك الأجر، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه والمنعم به.

أبو مجاهد

صالح بن محمَّد باكرمان

٢٨ / ١٢ / ١٤٤٦هـ

مُقَدِّمَةُ المؤَلِّف

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ المُرسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ أَمَّا بَعدُ:

فهذه أربعون حديثًا مختارةً جمعتُها لتكون مرحلة أولى في حفظ الحديث لطلاب العلم، حرصتُ على أن تكون في مستوى صغار طلاب العلم وأن تكون جامعةً لأبوابٍ مختلفة في العقيدة والأخلاق والآداب والقربات والله أسأل أن ينفع بها إنَّه جوادٌ كريمٌ.

أبو مجاهد

صالح بن محمد بن عبد الرَّحمن باكرمان

٠٢ / ٠٧ / ١٤٢٩ هـ

الحديث الأول

أركَـان الإسـلامِ

عَنِ أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عبدالله بْنِ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[1].

غريب الحديث

* بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: أي أعمال الإسلام خمس.
* الْإِسْلَامُ: هو الخضوع لله تعالى المُتضمِّنُ غاية الانقياد في غاية الخضوع والذُّل.

المعنى العام

بيَّن هذا الحديث أركان الإسلام الخمسة، والتي هي له كالدَّعائم بالنِّسـبة للبناء لا وجود له إلَّا بها، وقد جَمَعت بين الجانب الاعتقادي والجانب العملي،

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم بني الإسلام علىٰ خمس، ح٨ (١/ ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم بني الإسلام علىٰ خمس، ح١٦ (١/ ٤٥).

فكان الأوَّل منها اعتقاديًّا، وكانت الأركان الأربعة الأخرى عمليَّة.

وأوَّل هذه الأركان وأعظمها: كلمة التَّوحيد "**لا إله إلَّا الله محمَّدًا رسول الله**"؛ فلا نعبُدَ إلَّا الله، ولا نرجو غيره، ولا نتوكَّل إلَّا عليه، وأن نؤمن أنَّ نبينا محمَّدًا ﷺ مبعوثٌ رحمةً للعالمين، وأنَّ شريعته ناسخةً لِمَا سبقها مِنَ الأديان، ونعتقد أنَّ كلَّ مَن لم يصدِّقه ولم يتَّبع دينه، فإنَّه خاسرٌ في الدُّنيا والآخرة.

فالنُّطق بالشَّهادتين إخبارٌ عن معتقد المرء الذي يخفى على النَّاس، مَا لم يتمّ إظهاره بهذه الوسيلة. فلابُدَّ مِنَ الإتيانِ بها ولو عمل جميع الأركان، وجميع الواجبات، وترك جميع المحرَّمات، ومَن لم يعترف أو لم يشهدَ بالشَّهادتين، أو أتى بمَا يناقضها، لا ينفعهُ ذلك كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

والرُّكنُ الثَّاني هو إقامة الصَّلاة: فهي صِلةٌ بين العبد وخالقه، يُناجي العبدُ فيها ربَّه، ويثني عليه ويحمده، ويستمدُّ منه العون. وإقامتها هو أداؤها على الوجه المشروع كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[2]، والصَّلاةُ هي العلامةُ الفارقةُ بين المسلم والكافر، كما جاء في

---

(١) سورة الزمر: ٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٤٣.

حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ"(١).

والرُّكنُ الثَّالث هو إيتاء الزَّكاة: وهي عبادة ماليَّة، فرضها الله تعالى على عباده طُهرةً لنفوسهم مِنَ البُخل، ولصحائفهم مِنَ الخطايا، كما أنَّها تُحققُّ الصِّلة العمليَّة الحَسَنة بين العِباد، وتنشر المحبَّة والعطف فيما بينهم.

والرُّكنُ الرَّابع هو الحجُّ إلى بيت الله الحرام: وهو مدرسةٌ تربويَّةٌ جامعةٌ لكلِّ أنواع العبادات القلبيَّة والفكريَّة والجسديَّة والماليَّة والاجتماعيَّة، وهو فرضٌ على كلِّ مستطيع كما قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٢).

وأمَّا **الرُّكنُ الخامس هو صَّومُ رمضان:** إذ هو دورةٌ تدريبيَّةٌ سنويَّةٌ عامَّة، تتنوَّع دروسها وفوائدها، وتشمل المسلمين جميعًا رجالًا ونساءً، أغنياءَ وفقراءَ، حاكمينَ ومحكومينَ، وقد تكفَّل الله تعالى لِمَن صامه إيمانًا واحتسابًا بغفران مَا مضى مِن ذنوبه.

---

(١) رواه مسلم ح٨٢.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

وقد اتَّفق المسلمون على أنَّ من جَحَدَ وأنكَرَ وجوب شيءٍ مِن مباني الإسلام الخمس وهي: الشَّهادتين، والصَّلوات الخمس، والزَّكاة، وحجِّ البيت، وصيام شهر رمضان، فإنَّه كافر.

الحديث الثاني

مَن هُو المُسْلِم

عَنْ عَبْدِاللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" رَواهُ البُخَاري، وَرَواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِر[1].

المعنى العام

يدعو هذا الحديث إلى كفِّ الأذى وحجب الشُّرور والبوائق والإزعاج، وبيَّن أنَّ خير المسلمين هو الذي يُمسك لسانه عن طعن النَّاس، ويحفظ مَا بين فكَّيه عن الإساءة للمسلمين بالقول أو بالإشارة، فلا يسبَّهم، ولا يلعنهم، ولا ينمُّ بينهم، ولا يذكُرُهُم إلَّا بخيرٍ.

فاللِّسان مِن أشدِّ الجوارح خطرًا على الإنسان؛ ولهذا جاء في الحديث أنَّ مُعاذَ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ"،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ح١٠ (١/ ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ح٤١ (١/ ٦٥).

ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ"، قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[1]، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[2] ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ"[3].

واليدُ - أيضًا - مِنَ الجوارح، فالمسلمُ هو الذي يُمسكها، ويحبس شرورها وأذاها، فلا يمدَّها لحقِّ الغير، ولا يعتدي عليه بالضَّرب، أو أخذ المال، أو مَا أشبه ذلك، قد كفَّ يده، فلا يأخذُ إلَّا ما يستحقُّه شرعًا. فإذا اجتمع للإنسان سلامةُ النَّاس مِن لسانه ومِن يده فهذا هو المُسلم.

(١) سورة السجدة: ١٦.

(٢) سورة السجدة: ١٧.

(٣) رواه الترمذي ح٢٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الحديث الثالث

فضلُ تعلُّمِ القُرآن وتَعلِيمه

عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" رَواهُ البُخَاري[1].

غريب الحديث

* خَيْرُكُمْ: أفضلكُم.

* القُرْآنَ: هو كلام الله تعالى حروفه، ومعانيه، مُنزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو المعجزة العُظمى، المتعبَّد بتلاوته، المبدوء في المُصحف بفاتحة الكتاب المختوم بسورة النَّاس، تكلَّم الله به، وسَمِعَه جبريل مِنَ الله تعالى، وَسَمِعَهُ محمَّد رسول الله ﷺ مِن جبريل، وَسَمِعَهُ الصَّحابة مِن محمَّد ﷺ.

المعنى العام

بيَّن هذا الحديث الشَّريف فضل تعلُّم القرآن الكريم وتعلُّمه، وأنَّ هذه

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح٥٠٢٧ (٦/ ١٩٢).

الخيريَّة المذكورة فيه تشمل – بإذن الله تعالى – مَن تعلَّم القرآن الكريم وعلَّمه، وساهم في تعليمه ونشره بالجهد والمال، بل كلُّ مَن أحبَّ القرآن وأهله والقائمين عليه، وإنَّ المسلمين لقادرون – إن شاء الله تعالى – إذا مَا تمسَّكوا بهذا القرآن الكريم وتدبَّروا معناه وِفقَ سُنَّة رسول الله ﷺ أن يحقِّقوا ما يَصْبُونَ إليه في حاضِرِهم ومستقبلِهِم وفي دنياهم وآخرتهم.

وهذا الحديث يحفِّز الهمم ويحرِّك العزائم إلى حفظ القرآن الكريم واستظهاره والمداومة على تلاوته مخافة الوقوع في وعيد نسيانه، ويحفِّزها على تعليمه للآخرين؛ لِمَا يترتب على ذلك مِنَ الأجر العظيم، حيث كان السَّلف الصَّالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ يُدركون هذه الخيريَّة التي يتميَّز بها مُعلِّم القرآن ومتعلمه.

فهذا أبو عبدالرَّحمن السُّلمي رَحِمَهُ اللَّهُ جلس يُقرئ النَّاس القرآن أربعين سنةً في مسجد الكوفة ويقول: حديث رسول الله ﷺ "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" هو الذي أقعدني في هذا المقعد.

الحديث الرابع

الوالدانُ أحقُّ النَّاس بحسنِ الصُّحبَة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَبُوكَ" رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[١].

غريب الحديث

* بِحُسْنِ صَحَابَتِي: بفتح الصَّاد، بمعنى الصُّحبة، وحسن صحابتي مِن إضافة الصِّفة إلى الموصوف، أي صُحبتِي الحَسَنَة.

المعنى العام

إنَّ بِرَّ الوالدين رمزٌ للوفاء، والاعتراف بالحقِّ لصاحبِ الحقِّ، ورمزٌ للشُّكر على المُنعم بنعمه، وقد اقتضى هذا الحديث في معناه العام الوصيَّة بالوالدين، والأمر بطاعتهما، ولو كانا كافرين، إلَّا إذا أَمرا بالشِّرك، فتجب معصيتهما في ذلك،

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ح٥٩٧١ (٨/ ٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ح٢٥٤٨ (٤/ ١٩٧٤).

عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾(١).

فالوالدان هما المصدر الثَّاني للوجود بعد الله تعالى؛ لهذا قرنهما الله تعالى بنفسه في وجوب الشُّكر، حيث يقول: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(٢)، وقرنهما بنفسه ﷻ حين أَمَرَ بطاعته وعبادته فقال: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾(٣)، وقرن رسول الله ﷺ عقوقهما بالإشراك بالله، حين سَرَدَ أكبر الكبائر فقال: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ"(٤).

ولعلَّ السَّبب في تقديم الأمّ على الأب هو كثرة تعبها على الابن، وشفقتها عليه، ومعاناة المَشاقِّ في حمله، ثمَّ وَضْعه، ثمَّ إرضاعه، ثمَّ تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك، والله أعلم.

(١) سورة لقمان: ١٥.

(٢) سورة لقمان: ١٤.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ح٥٩٧٦ (٨/ ٤).

الحديث الخامس

الفَضلُ العَظِيمِ لحُسنِ الخُلُقِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا" رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ(١).

غريب الحديث

* فَاحِشًا: ناطقًا بالفُحشِ.
* مُتَفَحِّشًا: مُتكلِّفًا في الفُحش، يعني أنَّه لم يكن الفُحشَ فيه خُلُقًا أصليًّا ولا كَسْبيًّا. والفُحشُ في الأصل الزِّيادة بالخروج عن الحدِّ المألوف، والمراد به هنا: سوء الخُلق وبذاءة اللِّسان ونحو ذلك.
* أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا: وحسن الخلق هو اختيار الفضائلِ وترك الرَّذائل.

المعنى العام

في هذا الحديث: الحثُّ على حُسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه، فقد كان النَّبي ﷺ على قمَّة مكارم الأخلاق حتى قال

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي صلىٰ الله عليه وسلم ح٣٥٥٩ (٤/ ١٨٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلىٰ الله عليه وسلم ح٢٣٢١ (٤/ ١٨١٠).

عنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

فحُسْنُ الخُلق هو بذل المعروف وكفُّ الأذى وطلاقة الوجه ومخالطة النَّاس بالجميل والبِشْرِ والتَّودُّدِ لهم والإشفاقِ عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصَّبر عليهم في المكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة، فلم يكن النَّبي ﷺ فاحشًا ولا مُتفحِّشًا ولا لعَّانًا ولا منتقمًا لنفسه ولا سخَّابًا في الأسواق ولا يجزئ بالسيِّئة السيِّئة، وإنِّما بُعِثَ ليتمِّمَ صالح الأخلاق.

وقد جمع بعض العلماء علامات حسن الخلق، فذكروا منها: أن يكون الإنسان كثيرَ الحياء، قليلَ الأذى، صدوقَ اللسان، قليلَ الكلام، كثيرَ العمل، قليلَ الزَّلل، بَرًّا وَصُولًا، وَقُورًا صبورًا، شكورًا رضيًّا، حليمًا رفيقًا، عفيفًا شفيقًا، لا لعَّانًا ولا سبَّابًا، ولا نمَّامًا ولا مغتابًا، ولا عَجُولًا ولا حقودًا، ولا بخيلًا ولا حسودًا، بشَّاشًا هشَّاشًا، يحب في الله، ويُبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله؛ من الذين: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٢)

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٤.

الحديث السادس

مِـن آدَابِ الطَّعَـامِ

عَنْ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" رَاوهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[١].

غريب الحديث

* يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ: تتحرَّك وتميل إلى نواحي الصَّحفة، ولا تقتصر على موضعٍ واحدٍ.
* فِي الصَّحْفَةِ: الصَّحفة كالقصعة وجمعها صِحاف، والمقصود الصَّحن أو الوعاء الذي يُوضَع فيه الطَّعام للشُّروع في الأكل.

المعنى العام

في هذا الحديث بيان ثلاث سُننٍ مِن سُنَنِ الأكل وهي: التَّسمية، والأكل باليمين، والأكل ممَّا يليه، وهذا بيانها باختصار:

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ح٥٣٧٦ (٧/ ٦٨)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ح٢٠٢٢ (٣/ ١٥٩٩).

السُّنَّة الأولى: التَّسمية: وهي مانع مِن تمتُّع الشَّيطان به، وعدم ذكر اسم الله عليه مؤذن باستحلال الشَّيطان للطَّعام والشَّراب، فالواجب على المسلم أن يُسمِّي الله تعالى قبل بداية الطَّعام، فإن نَسِيَ وتذكَّر أثناء الأكل أو بعد الفراغ منه فليقل: بسم الله أوَّله وآخره، هكذا أرشد النَّبي ﷺ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إِذَا أَكَلَ أَحدُكُم فليذكُرِ اسمَ الله، فإن نَسِيَ أن يَذكُرَ اسمَ الله في أوَّلِه فليقُلْ: باسم الله أوَّلَهُ وآخِرَهُ"(١).

السُّنَّة الثَّانية: الأكل باليمين: والحذر مِنَ الأكل باليد اليُسرى، وقد دلَّت الأحاديث على الأمر بالأكل باليمين، والنَّهي عن الأكل بالشِّمال، ومِن ذلك قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أخرجه مسلم(٢).

السُّنَّة الثَّالثة: الأكل ممَّا يليه: وعدم الأكل مِن جوانب الصَّحن؛ لأنَّ الأكل مِن أماكن أخرى تَعَدٍّ على حقِّ الغير، وسوء الأدب بغير فائدة، ثُمَّ النَّفس تتقذَّر ممَّا خاضت فيه الأيدي، وهذا إذا كان الطَّعام نوعًا واحدًا، أمَّا إذا اختلفت الأنواع

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام ح٣٧٦٧ (٣/ ٣٤٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٣٧٦٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ح٢٠٢٠ (٣/ ١٥٩٨).

فله التَّناول مِن هُنا وهناك حتى يصيب مِن كلِّ نوع، وهناك آداب أخرى للطَّعام ينبغي للمسلم أن يتأدَّب بها.

الحديث السابع

مِنَ الإيمانِ أن تُحبَّ لأخيكَ مَا تُحبُّ لنفسِكَ

عَنْ أَنَسٍ بن مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[1]، وفي رِواية مُسْلِم: "لأَخِيهِ أَو قَالَ: لِجَارِهِ ...".

غريب الحديث

* لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ: أي لا يؤمن الإيمان التَّام، وإلَّا فأصل الإيمان يحصل لِمَن لم يكن بهذه الصِّفة.

المعنى العام

في هذا الحديث يبيِّن الرَّسول ﷺ أنَّ العلاقة بين المسلمينَ علاقة أُخوَّةٍ أساسها الإيمان، وأنَّ مِن أهمِّ مَا يقتضيه هذا الإيمان أن يُحبَّ المسلم أخاه المسلم، وأن يحرِصَ على كلِّ مَا مِن شأنه أن يجلب له خيرًا أو يدفع عنه شرًّا.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح١٣ (١/ ١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ح٤٥ (١/ ٦٧).

وإنَّ أعلى مراتب حبَّ الخير للآخرين أن تقدِّمهم على نفسك وهو الإيثار، وقد أثنى الله تعالى على الأنصار حين آثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةَ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾[1] ، وهناك مرتبة أدنى مِن مرتبة الإيثار وهي إنزال الآخرين منزلة النَّفس، وهي مَا دلَّ عليها هذا الحديث.

وإذا تأملنا الحديث، لوجدنا أن تحقيق هذا الكمال الإيماني في النفس، يتطلَّب منها سمُوًّا في التَّعامل، ورفعة في الأخلاق مع الغير، انطلاقًا مِن رغبتها في أن تُعامل بالمثل، وهذا يحتّم على صاحبها أن يصبر على أذى الناس، ويتغاضى عن هفواتهم، ويعفو عمن أساء إليه، ويشارك إخوانه في أفراحهم وأتراحهم، ويعود المريض منهم، ويواسي المحتاج، ويكفل اليتيم، ويعيل الأرملة، ولا يألو جهدًا في تقديم صنائع المعروف للآخرين، ببشاشةِ وجه، وسعة قلب، وسلامة صدر.

ومِن مقتضيات هذا الحديث: أن يبغض المسلم لأخيه مَا يبغضه لنفسه، وهذا يقوده إلى ترك جملة مِنَ الصِّفات الذَّميمة، كالحسد والحقد، والبغض للآخرين، والأنانية والجشع، وغيرها مِنَ الصفات الذَّميمة التي يكره أن يعامله الناس بها.

---

(١) سورة الحشر: ٩.

الحديث الثامن

التَّحرِّي في اختِيارِ الصَّدِيق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "المَرء عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ" رَواهُ أَحمَد وأبو دَاود والتِرمِذي[1].

غريب الحديث

* مَنْ يُخَالِلُ: مَن يُصاحب ويُصادق.

المعنى العام

بيَّن الحديث أنَّ الإنسان إذا صَار خليلًا ومصاحبًا لإنسان فإنَّه يكون مثله في أخلاقه وفي صفاته وفي عبادته؛ لذلك فإنَّه لا يختار إلَّا الخليل الطَّيب، ومَن يكون عونًا له على الطَّاعة، ولا يختار خليلًا يكون عونًا له على المعصية أو يتسبَّب في انحرافه؛ لأنَّ أغلب البلاء الذي يحصل لكثيرٍ مِنَ النَّاس إنَّما يأتي عن مخالطة الأشرار.

---

(١) رواه أحمد في مسند أبي هريرة ح٨٣٩٨ (٨/ ٣٠٧)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ح٤٨٣٣ (٤/ ٢٥٩)، والترمذي في باب ما جاء في أخذ المال ح٢٣٧٨ (٤/ ٥٨٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ح٣٥٤٥.

وأمَّا اختيار الأخلاء والأصدقاء المستقيمين هو الذي ينفع؛ ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١)، فعلى الإنسان أن يتحرَّى في اختيار أصدقائه حتى يَسلم في دينه وطاعته، ويكونوا عونًا له على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويزيدوه ثباتًا على مَا هو عليه.

وقد أمر الله تعالى في كتابه بصحبة الصالحين، ومجالسة العابدين الذاكرين، الذين يتطلَّعون إلى الآخرة، وحذَّر تعالى مِن صحبة الغافلين السافلين المتبعين لأهوائهم المفرطين في أمورهم؛ لما يترتب على ذلك من أثر في الآخرة، قال الله سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾(٢)

كما أرشد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اختيار الصَّاحب؛ لأنَّ مَن صَاحَبَ أهل الخير صَارَ منهم، وإن صَاحَبَ سواهم؛ صار مثلهم.

---

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

الحديث التاسع

التَّعاون بَين المؤمنِين

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[1].

المعنى العام

هذا الحديث يرسم لنا طريق التَّكافل الاجتماعي والتَّضامن في تحمُّل المسئولية، وأنَّ المسلمين كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وأنَّه كلَّما تكاتف المجتمع صار قويًّا، وكلَّما عَطَف بعضه على بعضٍ وأحسَّ بعضه بآلام البعض صَارَ في مَنَعَةٍ وحصانة، وإلَّا فَمَنْ لفقراء المسلمين الذين لا يملكون قوت يومهم ولا كسوة عيدهم؟ ومَنْ لأبناء الإسلام مِمَّن يعيش مشرَّدًا مِن بلده؟ ومَنْ للأرامل؟ ومَنْ لليتامى؟ وغيرهم بعد الله تعالى إِنْ لم يَقُم المسلمون بواجب الإخاء والعطف والرَّحمة والتَّكافل ونحوها مِنَ المبادئ الإسلامية الحقَّه؟

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ح٦٠٢٦ (٨/ ١٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ح٢٥٨٥ (٤/ ١٩٩٩).

فالإسلام حثَّ على التَّراحم والتَّعاطف والتَّواد، ودعا إلى التَّعاون على البرِّ والتَّقوى ونهى عن التَّعاون على الإثم والعدوان، ودعا - أيضًا - إلى وقوف المسلم مع أخيه المسلم في كافة الشُّؤون حسب الاستطاعة؛ لِمَا يورثه مِنَ المحبَّة والتَّراحُم ونحوها مِنَ الفضائل، وبقدر مَا تُقدِّم لأخيك المسلم اليوم تجني ثماره في الدُّنيا والآخرة.

الحديث العاشر

مِنَ الآدابِ الإسلاميَّة

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ، وَإِذَا أَتَى الخَلاَءَ فَلاَ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ" رَواهُ البُخَاري[١].

غريب الحديث

* الخَلَاءَ: موضع قضاء الحاجة.
* وَلاَ يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ: أي لا يستجمر أو يستنجيء باليمين؛ لأنَّه قد تصيبه النَّجاسة إذا مَسَّ ذكره بيمينه، واليمين إنَّما تكون للتَّكريم.

المعنى العام

ذكر هذا الحديث ثلاثة آداب إسلامية، وهي:

الأدب الأوَّل: النَّهي عن التَّنفُّس في الإناء: فإذا شَرِبَ أحدكم فلا يتنفَّس في الإناء، فإذا أراد أن يعود للشُّرب فلينَحِّ الإناء ثم ليَعُد، والأفضل أن يتنفَّس في الشُّرب ثلاثًا، ويكون نَفَسَهُ في غير الإناء.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين ح١٥٣ (١/ ٤٢).

الأدب الثَّاني: عدم مَسِّ الذَّكَر باليمين: تكريمًا لها وخشية أن يصيبه شـــيء مِنَ البول ومِنَ النَّجاسة، وهذا مقيَّدًا بحالة البول فيكون مَا عداه مباحًا، كما في صحيح مسلم قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: "لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ"[1].

الأدب الثَّالث: عدم الاستنجاء باليمين: وذلك إكرامًا لها، فهي تُستعمل في كلِّ أَمْرٍ مُستحسَن كالأكل والشُّرب والمصافحة والأخذ والإعطاء وغير ذلك، وأمَّا الشِّمال فهي تُستعمل في الأمور التي هي دون ذلك ممَّا فيه إزالة أذىً أو امتهانٍ كالاستنجاء والامتخاط ومَا شابه ذلك.

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين ح٢٦٧ (١/ ٢٢٥).

الحديث الحادي عشر

أكبرُ الكَبَــائِرِ

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ" فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ. رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[1] واللَّفظُ للبُخَارِي.

غريب الحديث

* أَكْبَرِ الكَبَائِرِ: أشدُّ المعاصي ذنبًا وأكثرها إثمًا.
* وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ: الاتِّكاءُ الاضطِّجاع على الجنب، أو هو الاعتماد على الشَّيء بالجنب واليد، كوضع اليد على وسادة مع تجافي الجنب عن الأرض.
* شَهَادَةُ الزُّورِ: الزُّور هو الكذب والمَيل عن الحقِّ.

المعنى العام

اشتمل هذا الحديث على ذِكر ثلاث مِنَ الكبائر:

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ح٥٩٧٦ (٨/ ٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ح٨٧ (١/ ٩١).

الأولى: الشِّرك بالله تعالى: وهو أن يجعل لله ندًّا ويعبد غيره مِن حَجَـرٍ أو شَجَرٍ أو شَمسٍ أو قَمَرٍ أو نبيٍّ أو شيخٍ أو مَلكٍ أو غير ذلك، وهذا هو الشِّرك الأكبر الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) وغيرها مِنَ الآيات، فمن أَشرك بالله ثمَّ مَات مُشركًا فهو مِن أصحاب النَّار قطعًا، كما أنَّ مَن آمن بالله ومَات مؤمنًا فهو مِن أصحاب الجنَّة وإنْ عُذِّبَ بالنَّار.

الثَّانية: عقوق الوالدين: وهو مِن أكبر الكبائر بعد الشِّرك، كما أنَّ حقَّ الوالدين يلي التَّوحيد، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾(٣).

وقد أَمَرَ الله تعالى بالإحسان إليهما، وهو البِرُّ والشَّفقة والعطف والتودُّد وإيثار رضاهما، مع اللُّطف ولين الجانب، فلا يغلظ لهما في الجواب، ولا يحدَّ النَّظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، ونهى عن أن يُقال لهما أُفٍّ، إذ هو كناية عن الإيذاء بأي نوع كان حتى بأقلِّ أنواعه، فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ

---

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) سورة لقمان: ١٣.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1].

الثَّالثة: شهادة الزُّور: حيث أكَّد الحديث على تحريمها وعِظَم قبحها، وهي أسهل وقوعًا على النَّاس والتَّهاون بها أكثر، وأسباب الوقوع فيها كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما، ومفسدتها متعدِّية إلى الغير، وشاهد الزُّور قد ارتكب عظائم، ومِن ذلك: الكذب والافتراء، وأنَّه ظَلَم الذَّي شَهِدَ عليه حتى أُخِذَ بشهادته ماله وعرضه وروحه، وظَلَم الذي شَهِدَ له بأنْ ساقَ إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النَّار، وأباح مَا حرَّم الله تعالى، نسأل الله تعالى السَّلامة والعافية مِن كلِّ بلاء.

(١) سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

الحديث الثاني عشر

الحَلْفُ بِغَيرِ اللَّهِ شِرْكٌ

عَنْ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ" رَوَاهُ أَحمَد وأَبُو دَاود والتِّرمِذِي[1].

المعنى العام

إنَّ المقصود بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ" أي: أقسم بغير الله، كأن يقول: والنَّبي، أو يقول: والأمانة، أو يقول: وحياتِكَ مَا فعلتُ كذا، أو مَا أشبه ذلك، بأن يُقسم بمخلوق، فالحلف والقَسَم: تأكيدُ شيءٍ بذكر معظَّمٍ على وجهٍ مخصوص.

والحَلْفُ بغير الله شركٌ أصغر، إنْ كان لا يقصدُ الحالفُ تعظيم المحلوف به كما يعظِّم الله، وإنْ كان يقصد تعظيم المحلوف به مثل مَا يُعظِّم الله فإنَّ الحلف يكون شركًا أكبر.

---

(١) رواه أحمد في مسند عبدالله بن عمر ح٦٠٧١ (٥/ ٣٦٦)، وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء ح٣٢٥١ (٣/ ٢٢٣)، والترمذي في باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ح١٥٣٥ (٤/ ١١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ح١٠٦٧.

ومَن كان ولابُدَّ حالفًا فلا يحلف إلَّا بالله تعالى، ففي الصَّحيح أنَّه ﷺ قال: «أَلاَ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»[1].

وكفارة الحلف بغير الله تعالى أن يقول الحالف: لا إله إلَّا الله كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: "مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ"[2].

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ح٦٦٤٦ (٨/ ١٣٢)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ ح١٦٤٦ (٣/ ١٢٦٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا يحلف باللات والعزىٰ ولا بالطواغيت ح٦٦٥٠ (٨/ ١٣٢).

الحديث الثالث عشر

حبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسلَّمَ مِنَ الإيمانِ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" رَواهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[1]، واللَّفْظُ للبُخَاري.

غريب الحديث

* لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ: أي لا يحصل له الإيمان الواجب، ولا يكون مِن أهله.

المعنى العام

هذا الحديث دليلٌ على وجوب تقديم محبته ﷺ على محبة كلِّ أَحَدٍ مِنَ الخلق؛ لأنَّه فعلٌ نفى الشَّارع الإيمان عن تاركه فهذا دليل وجوبه، فمن استكمل الإيمان عَلِمَ أنَّ حقَّ رسول الله ﷺ وفضله آكد عليه مِن حقِّ أبيه وابنه والنَّاس أجمعين؛ لأنَّ بالرَّسول ﷺ استنقذه الله تعالى مِنَ النَّار، وهداه مِنَ الضَّلال.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب حبُّ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم من الإيمان ح١٥ (١/ ١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان علىٰ من لم يحبه هذه المحبة ح٤٤ (١/ ٦٧).

ومحبَّة النَّبي ﷺ مِن أصول الإيمان، وهي مقارنة لمحبَّة الله تعالى، وأنَّ محبته الصَّادقة تكون باتِّباع سُنَّته والاقتداء بهديه، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وتصديقه بكلِّ مَا أخبر به، والتَّقيُّد في عبادة الله بشريعته ومَا جاء به، وليس بالبدع المُحدَثة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

والسَّعادة الحقيقيَّة والاهتداء التَّام لا يتحقَّق إلَّا بطاعته ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٢)، فعلينا أن نحذر مِن مخالفة أمره؛ لأنَّ مخالفة أمره سببٌ للفتنة والضَّلال والعذاب الأليم، حيث قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣).

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) سورة النور: ٥٤.

(٣) سورة النور: ٦٣.

الحديث الرابع عشر

أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلى اللَّهِ

عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا"، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ" قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ" قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي. رَواهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[(١)].

المعنى العام

بيَّن النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث بعض الأعمال التي هي أحبُّ إلى الله تعالى، وورد في أحاديث أخرى أعمالًا غير هذه هي أحبُّ عند الله تعالى ولا تناقض في ذلك، وإنَّما محصَّل مَا أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره ممَّا اختلف في الأجوبة بأنَّه أفضل الأعمال: أنَّ الجواب اختلف لاختلاف أحوال السَّائلين بأن أعلم كلَّ قوم بما يحتاجون إليه، أو بما هو لائق بهم، وقد ذكر النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث بعضًا مِنَ تلك الأعمال وهي:

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها ح٥٢٧ (١/ ١١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال ح٨٥ (١/ ٩٠).

الصَّلاة على وقتها: أي: إيقاعها أداءً لا قضاءً، والبدارُ إلى الصَّلاة في أوَّل أوقاتها أفضل مِنَ التَّراخي فيها؛ لأنَّه إنَّما شرط فيها أن تكون أحبّ الأعمال إذا أقيمت لوقتها المستحب، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[1].

والصَّلاةُ رأس الإسلام وعموده، وهي الصِّلة بين العبد وربِّه، ومِن عظم شأنها عند الله أنَّها أوَّل فريضة فرضت على النَّبيِّ ﷺ، وأنَّها فُرضت على هذه الأمَّة في السَّماء ليلة المعراج، وقد عظَّم الله أمرها في القرآن الكريم وشرَّفها وشرَّف أهلها، وخصَّها بالذِّكر مِن بين سائر الطَّاعات في مواضع مِنَ القرآن كثيرة، وأوصى بها خاصَّة، ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[2]، وهي آخر وصيَّته ﷺ لأُمَّته وآخر عهده إليهم عند خروجه مِنَ الدُّنيا.

بِرُّ الوالدين: وفي الحديث تعظيم بِرِّ الوالدين حيث قدَّمه على الجهاد، فأذاهما محرَّم، والبِرُّ خلاف العقوق، فبِرِّهما: الإحسان إليهما، وفعل الجميل معهما، وفعل مَا يسرُّهما.

---

(١) سورة النساء: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٨.

وبرُّ الوالدين يكون في حياتهما وبعد موتهما، فمن فاته الإحسان إلى والديه في حياتهما فقد جعل الله تعالى له ذلك بعد موتهما، سواء كان ذلك بالصَّدقة عليهما، أو الاستغفار، والدُّعاء، وقضاء الدُّيون، والنُّذور، والكفَّارات، أو إنفاذ عهدهما مِن بعدهما، أو صلة الرَّحم التي لا توصل إلَّا بهما، أو صلة أهل ودِّهما، أو غير ذلك مِن أنواع البرِّ والإحسان إليهما.

وقد تقدَّم الكلام عن بِرِّ الوالدين والتَّحذير مِن عقوقهما في الحديث الحادي عشر.

الجهادُ في سبيل الله تعالى: وهو مِن أفضل مَا يتقرَّبُ به المتقرِّبون؛ فهو ذروة سنام الإسلام، وبه صيانة الدِّين وحمايته، ودعوة النَّاس إلى دينِ الله وإلزامهم بالحقِّ، ونَصْر عباد الله المؤمنين، وقمْع الظَّالمين والمنافقين الذين يصدُّون عن سبيل الله تعالى.

الحديث الخامس عشر

الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ" رَواهُ البُخَارِيُّ[1].

غريب الحديث

* يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ: ينصحه ويعاتبه على كثرة حيائه.
* دَعْهُ: اتركه على حيائه.

المعنى العام

إنَّ خُلُق الحياء مِنَ الأخلاق الحميدة، وهو خُلُقٌ سَنِي، يبعث على فعل الجميل وترك القبيح. والحياء كلُّه خير، ولا يأتي إلَّا بخير، وهو شعبةٌ مِن شُعب الإيمان.

فإذا تحلَّى به المرء انبعث إلى الفضائل، وأقصر عن الرَّذائل، وإذا عُريَ منه، وعُطِّلَ مِنَ التَّحلي به فلا تَسل عمَّا سيقترفه مِن رذائل، ولا تعجب ممَّا سيرتكبه

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان ح٢٤ (١/ ١٤).

مِن حماقات؛ فقليلُ الحياء لا يأبه بدنوِّ همَّته، ولا يبالي بسفول قَدره، ولا يجد مَا يبعثه للفضائل، ولا مَا يقصره عن الرَّذائل.

وقد بيَّن هذا الحديث أنَّ الحياء يمنعُ مِن كثيرٍ مِنَ الفُحشِ والفواحش، ويشتمل على كثيرٍ مِن أعمال البرِّ، وبهذا صار جزءًا وشعبة مِنَ الإيمان.

وإنَّ أوَّل الحياء وأولاه: الحياءُ مِنَ الله تعالى، وهو ألَّا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، وأنَّ كماله إنَّما ينشأ عن معرفته تعالى ومراقبته المعبَّر عنها بـ: "أن تعبد الله كأنَّك تراه".

وفي هذا الحديث يبيِّنُ النَّبيَّ ﷺ أنَّ الحياء مِن أسباب أصل الإيمان وأخلاق أهله؛ لمنعه مِن الفواحش وحمله على البِرِّ والخير كما يمنع الإيمان صاحبه مِن الفجور، ويقيِّده عن المعاصي ويحمله على الطَّاعة، صار كالإيمان لمساواته له في ذلك.

والاستحياء مِنَ الله تعالى حقَّ الحياء: أن تحفظَ الرَّأس ومَا وعى، والبطنَ ومَا حوى، وأن تذكر الموت والبِلى، فمن فعل ذلك فقد استحيى مِنَ الله تعالى حقَّ الحياء.

الحديث السادس عشر

الأُخُوَّةُ الإِسْــلامِيَّة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

غريب الحديث

* لَا تَحَاسَدُوا: الحسد هو تمنِّي زوال النِّعمة عن صاحبها.
* وَلَا تَنَاجَشُوا: مِنَ النَّجَش وهو أن يزيد في ثمن السِّلعة وهو لا يريد شراءها ليوهم غيره بنفاستها.
* وَلَا تَبَاغَضُوا: التَّباغض هو الكراهيَّة مِنَ الجانبين.
* وَلَا تَدَابَرُوا: التَّدابر هو التَّباعد بالأجسام إعراضًا عند الملاقاة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ح٢٥٦٤ (٤/ ١٩٨٦).

* وَلَا يَخْذُلُهُ: الخذل ترك الإعانة والنُّصرة إذا استعان به في دفع ظالم.
* وَلَا يَحْقِرُهُ: أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله.

المعنى العام

في هذا الحديث يضع النَّبيَّ ﷺ معالم عظيمة أمام المسلم لكي تنضبط العلاقات الأخويَّة بين المسلمين. وأرشد إلى بيان أُخُوَّة المسلمين فيما بينهم، وأنَّهم لا يتباغضون، وأنَّ الله حرَّم على المؤمنين مَا يُوقِع بينهم العداوة والبغضاء، وامتنَّ على عباده بالتَّأليف بين قلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا﴾[1]؛ ولهذا المعنى نهى الشَّارع عن التَّحاسد والتَّناجش والتَّباغض والتَّدابر وحرَّم المشي بالنَّميمة؛ لِمَا في ذلك مِن إيقاع العداوة والبغضاء، ورخَّص في الكذب في الإصلاح بين النَّاس، ورغَّب في الإصلاح بينهم.

وإذا تركَ المسلون التَّحاسد، والتَّناجش، والتَّباغض، والتَّدابر، وبيع بعضهم على بعضٍ، كانوا إخوانًا؛ فالأخوَّة قوَّة إيمانيَّة نفسيَّة تورث الشُّعور العميق بالمحبَّة والاحترام والود والثِّقة المتبادلة والإكرام وغضّ الطَّرف واحتمال الأذى وبذل النَّدى. فكلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه: فلا يعتدي على المسلم بقتل

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

أو جرح أو غير ذلك. وماله: فلا يُؤخذ ماله غصبًا، ولا سرقة، ولا خيانة، ولا دعوى مَا ليس له، ولا غير ذلك بأيِّ طريق، فلا يحلُّ لك أن تأخذ مال أخيك بغير حقٍّ فإنَّه حرامٌ عليك. وعرضه: بأن لا تنتهك عرضه، وتتكلَّم فيه بين النَّاس، سواء كنت صادقًا فيما تقول أو كاذبًا.

وقد ذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه السِّياج العام حول الحقوق الشَّخصيَّة لكلِّ مسلم لبقاء الأُخوَّة الإسلاميَّة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

(١) سورة الحجرات: ١٠ – ١٣.

الحديث السابع عشر

مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1].

غريب الحديث

* آيَةُ المُنَافِقِ: علامة المنافق. وحقيقة المنافق هو الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر.
* كَذَبَ: أخبر بخلاف الحقيقة قصدًا.
* أَخْلَفَ: لم يفِ بوعده.

المعنى العام

يُحذِّر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث مِن بعض صفات المنافقين، وأنَّ مَن وُجدت فيه هذه الخصال فهو موصوفٌ بالنِّفاق العملي (الأصغر)، ومَن كان عنده واحدة منها كانت فيه خصلةٌ مِن خصال النِّفاق حتى يدَعها، وهي:

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ح٣٣ (١/ ١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ح٥٩ (١/ ٧٨).

الخصلة الأولى: الكذب في الحديث: وذلك أن يُحدِّث غيرَه بحديثٍ هو كاذب فيه، فيُخبر بالشَّيء على غير حقيقته، وفي ذلك إساءة صاحب الحديث إلى نفسه؛ لاتِّصافه بهذا الخُلق الذَّميم، وإساءةٌ إلى مَن يحدِّثه بإيهامه أنَّه صادق في حديثه معه، فإيَّاك والكذبَ فإنَّه يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّار، ومَا يزال الرَّجل يكذبُ ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا.

الخصلةُ الثَّانية: إخلاف الوعد: وذلك بأن يَعِدَ عِدةً وفي نيَّته ألَّا يفي بها، أمَّا إذا وعد وهو عازمٌ على الوفاء بالوعد، فطرأ له ما يَمنعه مِنَ الوفاء فهو معذور.

وهو مِنَ الصِّفات الذَّميمة، ومِنَ الخصال المرذولة، وكرام النَّاس ينفرون مِن هذه الخصلة، ويأنفون مِنَ الاتِّصاف بها.

الخصلة الثالثة: خيانة الأمانة: وذلك إذا استودعه أحدٌ أمانة مِن مال أو عهد أو غير ذلك لِحفْظِها لَهُ ضيَّعها ولم ينصح فيها. وقد أَمَرَ الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[1].

(١) سورة النساء: ٥٨.

الحديث الثامن عشر

فَضْلُ الفِقْهِ فِي الدِّينِ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١).

غريب الحديث

* يُفَقِّهْهُ: يجعله فقيهًا، والفقه الفهم. والفقه في الدِّين تعلُّم قواعد الإسلام ومعرفة الحلال والحرام.

المعنى العام

هذا الحديث مِن أعظم فضائل العلم، وفيه أنَّ العلم النَّافع علامةٌ على سعادة العبد، وأنَّ الله أراد به خيرًا؛ لأنَّ الفقه في الدِّين هو الذي يُورث الخشية في القلب ويظهر أثره على الجوارح، ويشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام والأحكام، وحقائق الإحسان.

وقد دلَّ مفهوم الحديث على أنَّ مَن أعرض عن هذه العلوم بالكليَّة فإنَّ الله لم

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ح٧١ (١/ ٢٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ح١٠٣٧ (٢/ ٧١٨).

يُرد به خيرًا تامًّا؛ لحرمانه الأسباب التي تُنال بها الخيرات، وتُكتسب بها السعادة.

إنَّ مَن أحبَّ أن يكون للأنبياء وارثًا وفي مزارعهم حارثًا فليتعلَّم العلم النَّافع، وليحضر مجالس العلماء فإنَّها رياض الجنَّة ففي الحديث: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"(١)، ومَن أحبَّ أن يعلم مَا نصيبه مِن عناية الله تعالى فلينظر مَا نصيبه مِنَ الفقه في دين الله تعالى ففي الحديث: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"، ومَن سأل عن طريق تبلِّغه الجنَّة فليمشِ إلى مجلس العلم ففي الحديث: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"(٢)، ومَن أحبَّ ألَّا ينقطع عمله بعد موته فلينشر العلم بالتَّدوين والتَّعليم ففي الحديث: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"(٣).

(١) رواه ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، ح٢٢٣ (١/ ٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٧٩).

(٢) رواه ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، ح٢٢٣ (١/ ٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٧٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح١٦٣١ (٣/ ١٢٥٥).

الحديث التاسع عشر

السَّلَامُ بَرِيدُ المَحَبَّة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

غريب الحديث

* وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا: هذا نفي كمال الإيمان، لا نفي أصل الإيمان.
* أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ: إفشاء السَّلام إظهاره وإشاعته لكافَّة المسلمين مَن عرفت ومَن لم تعرف.

المعنى العام

بيَّن النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث أهمية السَّلام، إذ هو بريد المحبة وأوَّل أسباب تآلف القلوب المؤدِّي إلى استكمال الإيمان، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه إظهار شعار الإسلام المميَّز لهم مِن غيرهم مِنَ المِلل، مع مَا فيه مِن

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنَّه لا يدخل الجنة إلَّا المؤمنون، وأنَّ محبة المؤمنين من الإيمان، وأنَّ إفشاء السلام سببًا لحصولها ح٥٤ (١/ ٧٤).

رياضة النَّفس ولزوم التَّواضع، وإعظام حرمة المسلمين، وفيه رفع التَّقاطع والتَّهاجر والشَّحناء التي هي سبب التَّفرقة بين المسلمين.

ومِنَ السُّنَّة أن يُسلِّم الصَّغيرُ على الكبير، والقليلُ على الكثير، والرَّاكب على الماشي، والماشي على القاعد، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ"(١)، وفي رواية للبخاري: "يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ"(٢).

وكان النَّبيُّ ﷺ يُسلِّم على الصِّبيان ويبدأهم بالسَّلام، وهذا مِن كمال تواضعه، وهو دأبُ السَّلف الصَّالح رحمهم الله، روى مسلمٌ في صحيحه عَنْ سَيَّارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ ثَابِتٌ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ أَنَسٍ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ أَنَسٌ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ "فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ"(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: تسليم الراكب علىٰ الماشي، ح٦٢٣٢ (٨/ ٥٢)؛ ومسلم، كتاب: السلام، باب يسلم الراكب علىٰ الماشي والقليل علىٰ الكثير، ح٢١٦٠ (٤/ ١٧٠٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: تسليم القليل علىٰ الكثير، ح٦٢٣١ (٨/ ٥٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب: السَّلام، باب استحباب السلام علىٰ الصبيان، ح٢١٦٨ (٤/ ١٧٠٨).

وكلَّما زاد المسلم مِن صيغ السَّلام المأثورة زاد أجرُه؛ بكلِّ واحدة عشرُ حسنات فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "عَشْرٌ" ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: "عِشْرُونَ" ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: "ثَلَاثُونَ"[1].

وأمَّا التَّهاجر والتَّقاطع وترك السَّلام بلا سببٍ شرعيٍّ فهو أَمرٌ لا يحبُّه الله تعالى مِن عباده، ونسأل الله أن يجمع المسلمين على الحقِّ والهدى، وأن يُؤلِّف بين قلوبهم على البرِّ والتَّقوى، وأن يهدينا جميعًا سواء السَّبيل.

(١) رواه أبو داود، باب كيف السلام؟، ح/ ٥١٩٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح٢٧١٠.

الحديث العشـــرون

تَحرِيمُ النَّمِيمَةَ والتَّلَوُّثِ بِالنَّجَاسَةِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: "أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ(١).

غريب الحديث

* فِي كَبِيرٍ: في أمرٍ يشقُّ عليهما الاحتراز عنه، وإلَّا فهما كبيران مِن حيث الإثم.
* يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ: ينقل الكلام لغيره بقصد الإضرار.
* لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ: لا يستبرئ منه ولا يتحفَّظ عن الإصابة به.

المعنى العام

في هذا الحديث تصريحٌ بإثبات عذاب القبر على مَا هو مذهب أهل السُّنة واشتهرت به الأخبار، وفيه أيضًا ذِكْرُ سببان مِن أسباب عذاب القبر وهما: النَّميمة وعدم الاستتار مِنَ البول:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، من الكبائر ألا يستتر من بوله ح٢١٦ (١/ ٥٣)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ح٢٩٢ (١/ ٢٤٠).

أمَّا السَّبب الأوَّل: وهو النَّميمة، وقد جاء تحريم المشي بالنَّميمة بين النَّاس؛ لِمَا يترتب عليها مِنَ الآثار الخطيرة كالتَّقاطع والشَّحناء بين النَّاس، وأنَّها حاملةٌ على التجسُّس لمعرفة أخبارهم، وعلى القتل، وعلى قَطْع أرْزَاقهم، وهي مِنَ الأسباب التي توجب عذاب القبر.

قال الإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكلُّ مَن حُمِلت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا، فعليه ستَّة أمور:

الأوَّل: ألا يصدِّقه، لأنَّ النَّمَّام فاسق.

الثَّاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبِّح له فعله.

الثَّالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنَّه بغيضٌ عند الله تعالى ويجب بُغض مَن أبغضه الله تعالى.

الرَّابع: ألا يظنَّ بأخيه الغائب السُّوء.

الخامس: ألا يحمله مَا حُكِيَ له على التَّجسُّس والبحث عن ذلك.

السَّادس: ألا يرضى لنفسه مَا نهى النَّمَّام عنه، فلا يحكي نميمته عنه"[1].

وأمَّا السَّبب الثَّاني مِن أسباب عذاب القبر: عدم الاستتار مِنَ البول: فيجب التَّنزُّه مِنَ البول؛ لِمَا في مخالفة ذلك مِنَ الوعيد الشَّديد، فالإسلام دينُ النَّظافة، وأمَّا

(١) شرح النووي علىٰ مسلم، ٢/ ١١٣، نقلاً عن الغزالي.

القّذَر في الثِّياب والبدن وعدم التَّنزُّه مِنَ البول والتَّعرُّض للتَّلوُّث مِن بقاياه بسبب عدم الاستبراء منه بالحجارة أو الماء، فهذا سلوك خاطئ ومِن أسباب عذاب القبر يجب تركه.

الحديث الحادي والعشرون

حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟"، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟"، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلبُخَارِي(١).

المعنى العام

إنّ أعظم الحقوق على الإطلاق حقُّ الله تعالى على عباده، وذلك بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فالتَّوحيد أعظم الطَّاعات وأساسها، وهو إفراد الله بالعبادة، والكفر بكلِّ مَا يُعبد مِن دون الله تعالى، ولأجله خَلَقَ الله الجنَّ والإنس وبعث النَّبيين عليهم الصَّلاة والسَّلام، وقد وَعَدَ الله تعالى مَن حقَّقه بالجنَّة مهما بلغت ذنوبه. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢)، وقال تعالى:

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمته إلىٰ توحيد الله تبارك وتعالىٰ ح٧٣٧٣ (٩/ ١١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم علىٰ النار ح٣٠ (١/ ٥٨).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٢)، فمن قام بهذا الحقِّ فَعَبَدَ الله وحده، وأدَّى هذا الحقّ وقام بحقوقه مُخلصًا لله، فقد قام بأعظم العَدل، ومَن صَرَفَهُ لغير الله تعالى فقد جَارَ وَظَلَمَ، وَعَدَلَ عن العَدلِ واستحقَّ العقوبة.

وقد وَعَدَ الله تعالى مَن حقَّق التَّوحيد بالجنَّة مهما بلغت ذنوبه، ووعد مَن أشرك به بأنَّه لن يغفر لمن مات عليه، بل هو خالدٌ مخلَّدٌ في النَّار لعظم جُرمه في حقِّ الله سبحانه وتعالى.

كما يجب علينا أن نعلم ونعترف بما لله مِنَ الكمال والوحدانيَّة، وَمَالَهُ مِنَ الحقوق على عباده مِنَ الإخلاص والعبوديَّة، فعلينا أن نؤمن أنَّ الله تعالى هو الرَّبُّ، الخالق، الرَّازق، المدبِّر، المتوحِّد بصفات الكمال، وغاية الجلال والجمال الذي لا يُحصى أبدًا، ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وأن نَصِفَه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، ونُنَزِّهَه عما نَزَّه عنه نفسه ونزَّهه عنه رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، ونعلم أنَّه ليس كمثله

---

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

شيء وهو السَّميع البصير، ومَن كان كذلك على التَّوحيد والطَّاعة فإنَّه يستحقُّ الجزاء، وهو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحقُّ المخلوق على المخلوق:

مَـا لِلعِبَـادِ عَليـهِ حَـقٌّ وَاجِـبٌ كَـلَّا وَلَا سَـعيٌ لَدَيـهِ ضَـائِعُ
إِن عُـذِّبوا فَبِعَدلِـهِ أَو نُعِّمُـوا فَبِفَضـلِهِ وَهـوَ الكَـرِيمُ الوَاسِـعُ

الحديث الثاني والعشرون

الصِّدْقُ طَرِيقٌ لِكُلِّ خَيْرٍ

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١).

غريب الحديث

* يَهْدِي: يُوصل.
* البِرّ: اسمٌ جامعٌ لكلِّ خير، أي العمل الصَّالح الخالص مِن كلِّ ذَمٍّ.
* لَيَصْدُقُ: يعتاد الصِّدق في كلِّ أمرٍ.
* صِدِّيقًا: يُصبح الصِّدق صفة ذاتيَّة له، فيدخل في زُمرة الصِّدِّيقين ويستحقُّ ثوابهم.
* الفُجُورِ: اسمٌ جامعٌ لكلِّ شرٍّ، أي الميل إلى الفساد والانطلاق إلى المعاصي.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالىٰ: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] وما ينهىٰ عن الكذب ح٦٠٩٤ (٨/ ٢٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ح ٢٦٠٧ (٤/ ٢٠١٢).

* يُكْتَبَ: يُحكم له.

* كَذَّابًا: صيغة مبالغة مِنَ الكذب، وهو مَن يُصبح الكذب صفة ملازمة له.

المعنى العام

في هذا الحديث بيَّن الرَّسول ﷺ أمرين عظيمين هما:

الأمر الأوَّل: يحثُّ فيه النَّبيُّ ﷺ على الصِّدق، الذي هو عنوان الإسلام وميزان الإيمان وعلامة الكمال، كما يحثُّ على تحرِّي الصِّدق والاعتناء به فيقول: إنَّ الصِّدق يوصل إلى الخير والطَّاعة وهما يوصلان إلى الجنَّة، وإنَّ الذي يصدق ويحافظ على الصِّدق يكتبه الله تعالى في دواوين الحفظة صدِّيقًا، ويُلقي في قلوب النَّاس وعلى ألسنتهم الوثوق به والاطمئنان إليه، فتربح تجارته ويعظم قدره.

وقد أَمَرَ الله تعالى بالصِّدق في عدَّة آيات فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، وأثنى على الذين يرعون العهد والأمانات، وأخبر بما لهم مِنَ الثَّواب العظيم، فقال: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ

(١) سورة التوبة: ١١٩.

﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

الأمر الثَّاني: يحذِّر فيه النَّبيُّ ﷺ مِنَ الكَذب والتَّساهل فيه، وإنَّ الكذب يوصل إلى الفساد والمعاصي وهما يوصلان إلى النَّار، وإنَّ الذي يكذب ويتكرَّر منه الكذب ويتساهل فيه، يُنكتُ في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتبه الله تعالى عند ملائكته مِنَ الكذَّابين، ويُلقي في قلوب أهل الأرض وعلى ألسنتهم عدم الثِّقة به، فيفقد الاطمئنان إلى معاملته ويبوء في الآخرة بالنَّار وفي الدُّنيا بالخزي والخسران.

(١) سورة المائدة: ١١٩.

الحديث الثالث والعشرون

تَحْرِيمُ الغِشِّ فِي الإِسْلَامِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

غريب الحديث

* مَنْ غَشَّنَا: الغشُّ ضدّ النُّصح، وإظهار مَا ليس في الباطن.
* فَلَيْسَ مِنَّا: ليس على مسيرتنا ومذهبنا، أو ليس مِن متابعينا.

المعنى العام

إنَّ مفهوم الغش مفهومٌ واسع، فهو ليس فقط في البيع والشِّراء، بل هو أشمل مِن ذلك وأعم، فكلُّ مَا لم يصدق فيه المرء مِن نيَّة أو قول أو عمل فهو غش، وهو مِن كبائر الذُّنوب، وعظائم المعاصي، يجمع بين الكذب والنَّصب والخيانة والاحتيال، يدلُّ على خُبث النَّفس، وظلمة القلب، وقلَّة الدِّين، فهو جالبٌ لسخط الله تعالى وعقوبته؛ لأنَّه أكل للمال بالباطل، وإنباتٌ للجسم مِنَ الحرام والسُّحت.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا» ح ١٠١ (١/ ٩٩).

والمقصود مِنَ الحديث ذمُّ الغاش، وأنَّه ليس على سُنن وطريقة المسلمين، والتي منها النُّصح والصِّدق مع الآخرين، وعدم غشِّهم، كما أنَّ الحديث لا يدلُّ على كُفْرِ الغاش.

وإنَّ مِن صُورِ الغش: أن يغشَّ الإنسان نفسه فلا يصدق لها في النَّصيحة، ولا يزكِّيها بالهُدى، ولا يُقيمها على الدِّين، وكذلك الغشُّ في البيوع والمعاملات بالمكر والخداع والزُّور والكذب والبخس والتَّزوير.

ومنه الغشُّ في الوظيفة وذلك بعدم القيام بحقِّها، وعدم العدل بين الموظَّفين، والغشُّ في التَّرقيات، وكذلك الغشُّ في المدارس بإعطاء الطَّالب مَا لا يستحقُّ، وغير ذلك مِن صُوَره.

الحديث الرابع والعشرون

مُصاحَبَةُ المُؤمِنينَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ[1].

المعنى العام

في هذا الحديث وصيَّة مِنَ النَّبيِّ ﷺ في اختيار الصُّحبة الصَّالحة، والنَّهي عن صُحبة غير المؤمن.

وقد أَمَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصحبة الأخيار وملازمتهم، ونهى عن صحبة الأشرار فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[2]. فجليسُكَ الصَّالح: يأمركَ بالخيرِ، وينهاكَ عن الشَّرِّ،

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ح٤٨٣٢ (٤/ ٢٥٩)، والترمذي في باب ما جاء في صحبة المؤمن ح٢٣٩٥ (٤/ ٦٠٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٣٦).

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

ويُسمِعكَ العلم النَّافع، والقول الصَّادق، والحكمة البليغة، ويُبصِّركَ آلاء الله تعالى، ويُعرِّفكَ عيوب نفسكَ، ويُشغلكَ عمَّا لا يعنيكَ.

وإن كان قادرًا: سَدَّ خَلَّتك، وقضى حاجتك، ثمَّ لا تحتاج بعد الله تعالى إلى سواه، إن ذكَّرته بالله طَمِعَ في ثوابه، وإن خوَّفته مِن عذاب الله تَرَكَ الإساءة، يُجْهِد نفسه في تعليمك وإصلاحك إذا غَفلتَ عن ذكر الله، وإذا أَهملتَ بشَّركَ وأنذركَ، يعتني بك حاضرًا وغائبًا.

وإن كان مثلكَ أو دونك فهو: يسُدُّ خَلَّتكَ، ويغفِرُ زَلَّتكَ، ويُقيل عثرتكَ، ويسترُ عورتكَ، وإذا اتَّجهتَ إلى الخير حثَّكَ عليه، وكان لك عونًا عليه، وإذا عملتَ سوءًا أو توجَّهت إلى سوءٍ حالَ بينكَ وبين مَا تُريد، وقال لك: أَعرِض عن هذا، واستغفر لذنبكَ إنَّك كنتَ مِنَ الخاطئين.

وصالحُ إخوانك: لا يمل قُرْبَك، ولا ينساك على البعد، تُسَرُّ بحديثه إذا حضر، إنَّه يشهد بك مجالس العلم، وحِلَق الذِّكر، وبيوت العبادة، ويزيِّنُ لك الطَّاعة، ويقبِّحُ لك المعصية، ولا يزال ينفعُكَ حتى يكون كبائع المسك وأنت المشتري.

وفي الحديث اتِّخاذ الصَّاحب مؤمنًا لأنَّ الطِّباع سرَّاقة؛ ولذا قيل: صحبة الأخيار تؤثر الخير، وصحبة الأشرار تؤثر الشَّر، كالرِّيح إذا مرَّت على النَّتَنِ حملت نَتَنًا، وإذا مرَّت على الطِّيب حملت طِيبًا.

وكذلك في الحديث لا تضيِّف إلَّا تقيًّا؛ لأنَّه يتقوَّى به على عبادة الله وطاعته وتقواه بخلاف غيره فإنَّه يتقوَّى به على المعاصي. قال الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنَّما حذَّر مِن صحبة مَن ليس بتقيٍّ وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته؛ لأنَّ المُطاعمة تُوقعُ الألفة والمودة في القلوب"[1].

(١) معالم السنن للخطابي، المطبعة العلمية، حلب الطبعة: الأولىٰ ١٣٥١هـ، (٤/ ١١٥).

الحديث الخامس والعشرون

إِكْرَامُ الجارِ والضَّيْفِ وَحِفْظ اللِّسَانِ مِنَ الإِيمَانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[(١)].

المعنى العام

أرشد هذا الحديث إلى بيان ثلاثة أعمالٍ وأنَّها مِنَ الإيمان، وهي: إكرامُ الجارِ، وإكرام الضّيفِ، وحفظُ اللِّسان:

الأوَّل: إكرامُ الجارِ: وذلك بالإحسان وإسداءِ المعروف والخير إليه، وكفِّ عنه الأذى القولي والفعلي، وقد ذكروا للرَّسول ﷺ امرأة كثيرة الصَّلاة والصِّيام والصَّدقة، غير أنَّها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: هي في النَّار. وذكروا امرأةً قليلة الصِّيام، والصَّدقة، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: هي في الجنَّة[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ح٦٠١٨ (٨/ ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان ح٤٧ (١/ ٦٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٩٦٧٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملخِّصًا حقوق الجار: "أن يبدأه بالسَّلام، ويعودهُ في المرض، ويعزِّيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنِّئه في الفرح، ويظهر الشَّركة في السُّرور معه، ويصفح عن زلَّاته، ولا يتطلَّع مِنَ السَّطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصبِّ الماء في ميزابه، ولا يضيق طرقه إلى الدَّار، ويستر مَا يتكشَّف له مِن عوراته، وينعشه مِن صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظته عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغضُّ بصره عن حرمته، ولا يديم النَّظر إلى خادمته، ويتلطَّف بولده في كلمته، ويرشده إلى مَا يجهله مِن أمر دينه، ودنياه"[1].

الثَّاني: إكرام الضّيفِ: وهو مِن آداب الإسلام وشرائعه وأحكامه، ومِن سُنن المرسلين، وإنَّ أوَّل مَن ضيَّف الضَّيف إبراهيم عليه السَّلام، والضِّيافة الكاملة عند العلماء ثلاثة، فما زاد على ذلك فهو صدقة، وأقلّها يوم وليلة.

الثَّالث: حفظُ اللِّسان: وهو في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» أي: ليقل خيرًا يُثاب عليه، أو يصمت عن الشَّرِّ فيسلم، ومَن صَمَتَ نجا، إلَّا أنَّ الكلام بالخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وإدمان الذِّكر وتلاوة

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، دار المعرفة، بيروت (٢/ ٢١٣)، مختصرًا.

القرآن الكريم أفضل مِنَ الصَّمت؛ لأنَّ الكلام بذلك غنيمة والصَّمتُ سلامة، والغنيمة فوق السَّلامة.

الحديث السادس والعشرون

تَحرِيمُ الكِبْرِ، وَأَهمِيَّةُ النَّظَافَةِ فِي الإِسْلَامِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

غريب الحديث

* بَطَرُ الْحَقِّ: هو دفعه وإنكاره ترفُّعًا وتجبُّرًا.
* غَمْطُ النَّاسِ: احتقارهم.

المعنى العام

الكبر نوعان:

النَّوع الأول: كبرٌ على الحقِّ، وهو ردُّه وعدم قبوله، فكلُّ مَن رَدَّ الحقَّ فإنَّه مُستكبر عنه بحسب مَا ردَّ مِنَ الحقِّ؛ وذلك أنَّه فرض على العباد أن يخضعوا للحقِّ الذي أرسل الله تعالى به رسله، وأنزل به كتبه، فالمتكبِّرون عن الانقياد

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ح٩١ (١/ ٩٣).

للرُّسل بالكليَّة كفارٌ مخلَّدون في النَّار، وأمّا المتكبِّرون عن الانقياد لبعض الحقِّ الذي يخالف رأيهم وهواهم فهم - وإن لم يكونوا كفَّارًا - فإنَّ معهم مِن موجبات العقاب بحسب مَا معهم مِنَ الكِبر، ومَا تأثَّروا به مِنَ الامتناع عن قبول الحقِّ الذي تبيَّن لهم بعد مجيء الشَّرع به.

النَّوع الثَّاني: الكِبر على الخلق، وهو غمطهم واحتقارهم وذلك ناشئٌ عن عُجب الإنسان بنفسه، وتعاظمه عليه، فالعُجب بالنَّفس يحمل على التكبُّر على الخلق، واحتقارهم والاستهزاء بهم، وتنقيصهم بقوله وفعله.

وأمَّا قول الرَّجل: «إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونعله حسنًا» إنَّما خَشِيَ أن يكون هذا مِنَ الكِبر الذي جاء فيه الوعيد؛ فبيَّن له النَّبي ﷺ أنَّ هذا ليس مِنَ الكِبر، إذا كان صاحبه مُنقادًا للحقِّ، مُتواضعًا لِلخَلْقِ، وأنَّه مِنَ الجمال الذي يحبُّه الله.

فإنَّ الله تعالى جميلٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله يحبُّ الجمال الظَّاهري كالنَّظافة في الجسد والملبس، والمسكن، وفي جميع شؤونه؛ ويحبُّ الله تعالى - أيضًا - الجمال الباطني كالتَّجمُّل بمعالي الأخلاق ومحاسنها؛ لأن التَّجمُّل يجذب القلوب إلى الإنسان، ويحبِّبه إلى النَّاس.

الحديث السابع والعشرون

خِصَالُ الخَيْرِ وَفَضَائِلُهَا

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا" رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

غريب الحديث

* الطُّهُور: الوضوء.
* شَطْرُ: أصل الشَّطر النِّصف.
* كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو: كلُّ إنسان يسعى بنفسه.
* مُوبِقُهَا: مُهلكُها.

المعنى العام

اشتمل هذا الحديث على جُمَلٍ تدلُّ على فضائل جملةٍ مِنَ الأعمال وهي الطُّهور، والذِّكر، والصَّلاة، والصَّدقة، والصَّبر، والقرآن.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ح٢٢٣ (١/ ٢٠٣).

فالطَّهورُ شَطرُ الإيمان، وذلك بأن يُطهِّر قلبه مِنَ الشُّكوك والاعتقادات الفاسدة، ويطهِّر بدنه مِنَ الأحداث.

والذِّكرُ مثل حمد الله وتسبيحه والثَّناء عليه يرطِّب اللِّسان، ويجلي صدأ القلوب، كلمات خفيفة على اللِّسان، ثقيلة في الميزان.

والصَّلاة تنوِّرُ البصيرة وتزكِّي الأعضاء، وتنهي عن الفحشاء والمنكر، والصَّدقة تطهِّرُ المال، وتزكِّي النَّفس مِنَ البُخل والشُّحِّ، وتنقِّيها مِنَ الأَثرة والأنانيَّة وحبِّ الذَّات، ودليلٌ على حُبِّ الخير للنَّاس.

والصَّبر طهارةٌ للعقيدة مِنَ الاعتراض على القضاء، ونورٌ للنُّفوس في ظلمات نوائب الدَّهر ونوازل الزَّمان، والقرآن الكريم حجَّةٌ لك أو عليك يوم القيامة.

وكلُّ النَّاس يتحرَّك ويسعى، لكن منهم مَن يستفيد مِن سعيه، ويبني آخرته بحركة دنياه، ومنهم مَن يشقى بسعيه ويهدم آخرته بلذَّاتٍ فانيةٍ في دنياه، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾[1].

---

(١) سورة الليل: ٤ – ١٣.

الحديث الثامن والعشرون

تَحْـرِيمُ التَّشَبُّهِ بِالكُفَّـارِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ" رَوَاهُ أَحْمَدَ وَأَبُو دَاوُد[1].

المعنى العام

إنَّ هذا الحديث قاعدة أساسيَّة مِن قواعد هذا الدِّين في تحريم التَّشبه بالكفرة؛ لأنَّ التَّشبُّه في الظَّاهر قد يؤدِّي إلى مَيلٍ في الدَّاخل وفي الباطن.

وفي الحديثِ تحذيرٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ التَّشبُّه بالكفَّار فيما يُخالفُ تعاليم الإسلام؛ حتى لا نكون منهم، ولا نُحشر معهم يوم القيامة.

وفيه دلالةٌ على النَّهي الشَّديد والتَّهديد والوعيد على التَّشبُّه بالكفَّار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك مِن أمورهم التي لم تُشرع لنا ولا نقرُّ عليها.

كما دلَّ الحديث على أنَّ مَن تشبَّه بالفُسَّاق كان منهم، أو بالكُفَّار أو

---

(١) رواه أحمد في مسند عبدالله بن عمر ح٥١١٥ (٤/ ٥١٦)، وأبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة ح٤٠٣١ (٤/ ٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٢٨٣١ (١/ ٥٤٦).

بالمبتدعة في أيِّ شيءٍ ممَّا يختصُّون به مِن ملبوسٍ أو مركوبٍ أو هيئةٍ.

وإنَّ مشابهة الكفَّار والمشركين أصلُ كلِّ بلاء ومصيبة حلَّت على أتباع الرُّسل والنَّبيين - صلوات ربي وسلامه عليهم -، ولا يستفحل هذا الدَّاء العضال في أُمَّةٍ إلَّا ويردّها على أعقابها، ويركسها في حمئة الجاهليَّة، ومِن ثمَّ ينفتح باب الرِّدَّة عن التَّوحيد والملَّة الحنيفيَّة.

والمقصودُ مِن ذلك التَّشبُّه في الشَّيء الذي هو مِن خصائصهم وميزاتهم، وأمَّا الأشياء التي هي مطلوبة في الإسلام مثل: إعداد العُدَّة، والعناية بالأمور النَّافعة، فهذا شيءٌ مطلوب، ولكنَّ المحظور والممنوع هو الذي يكون في أمور العقيدة والعبادة واللِّباس والهيئة ونحو ذلك ممَّا هو مِن خصائصهم.

الحديث التاسع والعشرون

حَثُّ المُؤْمِنِ عَلَى القُوَّةِ والهِمَّةِ العَالِيَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

المعنى العام

في هذا الحديث حثٌّ على ثلاثة أمور:

الأمر الأوَّل: تقوية الإيمان: فهو محور السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، لا سيَّما إذا أُتبِعَ بالعمل الصَّالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢). والنَّاس متفاوتون في الإيمان:

فمنهم قويٌّ تدفعه عزيمته إلى الأعمال الصَّالحة فتراه أمَّارًا بالمعروف،

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ح٢٦٦٤ (٤/ ٢٠٥٢).

(٢) سورة النحل: ٩٧.

نهَّاءً عن المنكر، صبورًا على القيام بحقوق الله تعالى، لا تفتر همته في ذلك. ومنهم ضعيف الإيمان تراه يعكس سابقه، والأوَّل خيرٌ مِنَ الثَّاني؛ لأنَّه دائبٌ في طلب السَّعادة لنفسه كاملة، أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فسعيه مشكور، والثَّاني آمن وقصَّر في السَّعي فهو لنفسه عند تقصيره.

الأمر الثَّاني: الحرص على النَّافع في الدُّنيا والآخرة، والحصول عليه بالوسائل المشروعة؛ فالمؤمن لا يدع فرصةً يستطيع فيها كَسْب مال أو جاه أو علم نافعٍ مِن علوم الحياة، أو أداء عمل يقرِّب إلى الله وينفع في الآخرة كقراءة قرآنٍ وصلاة أو صيام. لا يدع فرصة يستطيع فيها شيئًا مِن ذلك إلَّا انتهزها.

الأمر الثَّالث: الاستعانة بالله تعالى، فهي مفتاحٌ لكلِّ نجاح، والنُّور الذي يُضيء الحياة، فمن أعانه الله فهو المُعان، ومَن خذله فهو المخذول، فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستعانة بالله تعالى في فعل المأموراتـ وترك المحظورات، والصَّبر على المقدورات كلِّها، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلَّا الله تعالى، فمن حقَّق الاستعانة عليه في ذلك كلِّه أعانه.

وفي الحديث النَّهي عن أمرين:

الأمر الأوَّل: العجز: فالمؤمن لا ييأس مِنَ الوصول إلى غرضه وقد ملأت الثِّقة بالله تعالى نفسَه؛ بل ليطرح عنه الكسل والتَّقاعد والخمول جانبًا، وليقل: "اللَّهم إنِّي أعوذُ بك مِنَ العجز والكسل".

الأمر الثَّاني: قول إذا أصاب المؤمن مكروهًا، أو فاته محبوبًا، لو أنِّي فعلت كذا كان خلاف مَا حصل؛ لأنَّ هذا القول يفتح بابًا للشَّيطان، ولكن يقول قدَّر الله ومَا شاء فعل، فمَا مِن شيءٍ إلَّا هو كائنٌ بقدر الله تعالى، ومثل هذا الاعتقاد ممَّا يتسلَّى به المؤمن عند ورود المصائب عليه؛ ولذا جاء في الأدب النَّبوي قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: "وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

الحديث الثلاثون

تَحرِيمُ سَبِّ المُسلِمِ وَقِتَاله

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ(١).

المعنى العام

بيَّن النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث خصلتين مُحرَّمتين في التَّعامل مع المسلمين هما:

الخصلة الأولى: سبُّ المسلم وشتمه بأيِّ لفظٍ سيِّئ؛ سواء كان باللَّعن والتَّقبيح، أو تشبيهه بالبهائم، أو تعييره بعيبٍ أو خَلق، أو غيرها مِنَ الألفاظ التي تؤذيه، وتُدخِل الحزن عليه، فهذا حرامٌ؛ لأنَّ سب المسلم للمسلم بغير وجه حقّ عدوانًا وظلمًا هو فسقٌ ومعصية يأثم فاعلها.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ عَفَّ اللِّسان لا يسب ولا يشتم، ولم يكن فاحشًا ولا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ح٤٨ (١/ ١٩)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ح٦٤ (١/ ٨١).

مُتفحِّشًا بالقول؛ لذلك يجب على المؤمن أن يكون لسانه طيِّبًا عفيفًا، يصدرُ عنه أحسن الكلام، وأعذب الكلمات، وأن يجتنب الفُحش مع الخَلق عامَّتهم وخاصَّتهم، مِن أهلٍ وولدٍ وصاحبٍ.

الخصلة الثَّانية: قَتْلُ المسلم، وهذا مِن أكبر الكبائر، وورد فيه الوعيد الشَّديد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

وقد وَصَفَ النَّبيُّ ﷺ قَتل المسلم بالكُفر، والمراد بذلك الكُفر الأصغر الذي لا يُخرج مِنَ المِلَّة.

والمُسلم له حرمةٌ عظيمةٌ في نفسه أعظم مِن حرمة البيت العتيق، فيُحرم انتهاكها إلَّا بحقٍّ، فأهل الإيمان أعفُّ النَّاس في باب الدِّماء؛ لا يسفكون دَمًا، ولا يغدرون بذمَّة، ولا ينقضون عهدًا، ولا يظلمون النَّاس حبَّة خردل، خلافًا للخوارج والمنافقين والفُجَّار الذين يستخفُّون بدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

والحاصل أنَّ هذا الحديث أرشد إلى عِفَّتين: عِفَّةُ اللِّسان، وعِفَّة اليد، وهما مِن أجلِّ وأجمل خصال المؤمنين.

(١) سورة النساء: ٩٣.

الحديث الحادي والثلاثون

مِنَ الكُفرِ إتيانُ الكَهَنة والعرَّافين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ" رواه أحمد[١].

غريب الحديث

* كَاهِنًا: الكاهن: هو الذي يدَّعي علم الغيب، بسبب تعامله مع الشَّيطان.

* عَرَّافًا: العرَّاف: هو الذي يعرف الأشياء الضَّائعة.

وقال بعض أهل العلم: إنَّ العرَّاف هو الكاهن. فيجب على المسلم أن يكفر بالكهانة والعرافة، ولا يصدِّق أهلها، فهم ليسوا مِن أولياء الله، إنَّما هم مِن أولياء الشَّيطان.

المعنى العام

إنَّ هذا الحديث الشَّريف يفيدُ الحذر الشَّديد مِن إتيان الكُهَّان والعرَّافين والمُنجِّمين وسؤالهم وتصديقهم، وأنَّ سؤالهم لا يجوز.

---

(١) رواه أحمد في مسند، ح٩٥٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٤٤).

كما يُفيد الحديث أنَّ تصديقهم في دعوى عِلْمِ الغيب كُفْرٌ بما أُنزل على محمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ الله تعالى هو الذي يعلم الغيب، يقول سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[1]، فمَن صدَّق الكُهَّان والعرَّافين في ادِّعائهم علم الغيب فقد كَذَّبَ الله تعالى وكَفَرَ بما نُزِّل على محمَّدٍ ﷺ.

فالواجب على المسلمين الحذر منهم، والنَّهي عن إتيانهم وعن سؤالهم، والواجب على ولاة الأمر معاقبتهم والقضاء عليهم إذا وُجِدوا لإراحة البلاد والعباد منهم؛ لأنَّهم دُعاة كُفرٍ وشِركٍ، يُفسدون العقائد، ويأكلون أموال النَّاس بالباطل، ويُحدثون الشَّرَّ في الأُمَّة.

---

(١) سورة النمل: ٦٥.

الحديث الثاني والثلاثون

إبطَــالُ البِــدَعِ فِي الدِّيــنِ

عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ[1].

غريب الحديث

* مَنْ أَحْدَثَ: مَن أنشأ واخترع مِن قِبَلِ نفسه وهواه.
* فِي أَمْرِنَا: في دِيننا وشرعنا الذي ارتضاه الله تعالى لنا.
* مَا لَيْسَ مِنْهُ: ممَّا يناقضه وينافيه.
* فَهُوَ رَدٌّ: أي مردودٌ على فاعله؛ لبطلانه وعدم الاعتداد به.

المعنى العام

إنَّ هذا الحديث أصلٌ عظيمٌ مِن أصول الإسلام، وهو مِن جوامع الكَلِم التي أوتيها النَّبيُّ ﷺ.

(١) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود، ح٢٦٩٧، (٣/ ١٨٤)؛ ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ح١٧١٨، (٣/ ١٣٤٣).

وقد دلَّ الحديث على أنَّ كلّ مَن تعبَّد بشيءٍ لم يشرعه الله ورسوله أو أحدثَ في الدِّين مَا لا يشهد له أصلٌ مِن أصوله: السُّنَّة أو القواعد العامَّة، فإنَّ ذلك مردودٌ على صاحبه، وهو آثمٌ في ذلك، وكلُّ شيءٍ مِنَ المعاملات إذا حَدَثَ فيه مَا يُفسد العقدَ لمخالفته الحكم الشَّرعي يجب رَدَّهُ على صاحبه، فليحذر كلّ مسلمٍ الابتداع في الدِّين، وليتمسَّك بهدي سيِّد المرسلين ﷺ.

وقد جاءت النُّصوص الكثيرة في الكتاب والسُّنَّة تحثُّ على الاعتصام بالوحي واتِّباعه، وتحذِّر مِن اتِّباع غيره مِنَ الأهواء والضَّلالات، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]، وحذَّر تعالى مِن مخالفة أَمْر رسوله وسنَّته وشريعته فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"[3].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) رواه أبو داود ح١٧١٨٢ (٤/ ٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح٤٦٠٧.

وقال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اتَّبِعُوا، ولا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ، كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"، وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً".

الحديث الثالث والثلاثون

المُؤمِنُ بَينَ الشُّكرِ والصَّبرِ

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" رَوَاهُ مُسلِمٌ[(١)].

المعنى العام

يُبيِّن النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث شأن المؤمن عند قضاء الله تعالى وقَدَره، سواء بالسَّرَّاء أو الضَّرَّاء، وأنَّ المؤمن في كلِّ أحواله يتدرَّجُ في مراتب العبوديَّة بينَ صبرٍ على البلاء، وشُكرٍ للنَّعماء.

فالإيمانُ يحمل صاحبه على الشُّكر في حالة السَّرَّاء، والصَّبر في حالة الضَّرَّاء، وكَسْب الخير في كلِّ أوقاته، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، ح٢٩٩٩، (٤/ ٢٢٩٥).

مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[2] ولو لَم يكن مِن ثمراتِ الإيمان إلَّا أنَّه يُسلِّي صاحبه عن المصائب والمكاره التي كلُّ أحدٍ عرضةً لها في كلِّ وقتٍ، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسلٍّ عنها.

والشُّكرُ والصَّبرُ هما جماع كلِّ خيرٍ، فالمؤمن مغتنمٌ للخيرات في كلِّ أوقاته، رابحٌ في كلِّ حالاته، ويجتمع له عند النِّعم والسَّرَّاء، نعمتان: نعمةُ حصول المحبوب، ونعمة التَّوفيق للشُّكرِ الذي هو أعلى مِنْ ذلك، وبذلك تتمُّ عليه النِّعمة، ويجتمع له عند حصول الضَّرَّاء ثلاث نِعَمٍ: نعمة تكفير السَّيِّئات، ونعمة حصول مرتبة الصَّبر التي هي أعلى مِنْ ذلك، ونعمة سهولة الضَّرَّاء عليه؛ لأنَّه متى عَرَفَ حصول الأجر، والثَّواب، والتَّمرُّن على الصَّبر هانت عليه المصيبة.

(١) سورة الحديد: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة التغابن: ١١.

الحديث الرابع والثلاثون

حِفظُ اللِّسَان والفَرْج

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

غريب الحديث

* يَضْمَنْ: يلتزم بالحِفظ.
* بَيْنَ لَحْيَيْهِ: اللَّحية – بفتح اللَّام –: العظم الذي نَبَتَ عليه الأسنان مِنَ السَّفل والعلو، ومَا بَينَ لَحْيَيْهِ: هو لِسَانه.
* بَيْنَ رِجْلَيْهِ: يعني: الفرج.

المعنى العام

يرشد النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث إلى أمرين يستطيع المسلم إذا مَا التزم بهما أن يدخل الجنَّة التي وعد الله تعالى عباده المتَّقين، وهذان الأمران هما:

الأمر الأوَّل: حِفظُ اللِّسان مِنَ التَّكلُّم بما يغضب الله تعالى مِنَ الكذب والغيبة والنَّميمة والسَّب واللَّعن والقول على الله بغير علم وغير ذلك؛ لأنَّ حِفظ

(١) رواه البخاري في كتاب: الرَّقاق، باب حفظ اللسان، ح٦٤٧٤، (٨/ ١٠٠).

اللِّسان وسداد القول رأس الخير كُلِّه، وفيه فوائد كثيرة منها: أنَّ في ذلك امتثال لأمر الله ورسوله، ومِن أسباب النَّجاة، وتذهب حزازات الصُّدور، وفيه نشر الرَّحمة والمودَّة والمحبَّة والتَّرابط بين أفراد المجتمع.

إنَّ حِفظ اللِّسان عن المآثم والحرام عنوانٌ على استقامة الدِّين وكمال الدِّين، فلا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، وجوارح الإنسان كلّها مرتبطة بلسانه في الاستقامة والاعوجاج.

والمسلم الواعي يعتني بحسن اللَّفظ وجميل المنطق ولزوم الكفِّ عن السُّوء طلبًا للسَّلامة مِنَ الإثم، فمن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت.

الأمر الثَّاني: حِفظُ الفرج مِنَ الوقوع فيما حرَّم الله تعالى، وصيانتها وإبعادها عن مواطن الرَّذيلة وأفعال الفساد والانحراف، وإلزامها بلزوم العفاف والتَّمسُّك بالفضيلة؛ ليفوز العبد في دنياه وأُخراه.

وقد حثَّ الله تعالى على حِفظ الفروج وصيانتها، وبيَّن الجزاء العظيم لذلك فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨

وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

والخلاصة أنَّ أعظم الشُّرور والبلاء إنَّما تقع مِنَ اللِّسان والفرج، فمَن حَفِظَ لسانه إلَّا فيما أُمِرَ به، وحَفِظَ فرجه إلَّا فيما أُبيح له، فهذا ضَمِنَ النَّبيُّ ﷺ له الجنَّة، ومَن لم يتوقَّ شرَّ لسانه ولا شرَّ فرجه فهذا وقع في المهالك، وقارب على الهلاك، وكادَ أن يضيع – نسأل الله السَّلامة والعافية.

(١) سورة المؤمنون: ١-١١.

الحديث الخامس والثلاثون

فَضْلُ إِعَانَة المُسلمينَ في وَقتِ الحَاجةِ وفَضل العِلمِ والقُرآن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

غريب الحديث

* كُرْبَةً: الكُرْبة هي الشِّدَّة العظيمة التي تُوقعُ صاحبها في الكُرب، وتنفيسها: أن يُخفِّف عنه منها، والتَّفريجُ: أعظم مِن ذلك، وهو أن يُزيل عنه الكُربة فيزول عنه الهمَّ والغم.

(١) رواه مسلم في كتاب: الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذِّكر، ح٢٦٩٩، (٤/ ٢٠٧٤).

* يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ: المُعْسِر هو مَن أثقلته الدُّيون وعَجِزَ عن وفائها، والتَّيسير عليه: مساعدته على إبراء ذمَّته مِن تلك الدُّيون.
* وَمَنْ سَلَكَ: مشى أو أَخَذَ بالأسباب.
* وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ: تَعلوهُم الرَّحمة.
* وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ: أي طافت بهم، ودارت حولهم.

المعنى العام

اشتمل الحديث على ثلاثة فضائل، ينبغي على المسلم مراعاتها والعمل بها؛ لِما يترتَّب عليها مِن الأجر والثواب مِنَ الله تعالى، وهي:

الأولى: أنَّ الجزاء مِن جنس العمل:

وهي في قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"، فبيَّنَ أنَّه مَن رَفَعَ عن مؤمنٍ حُزْنًا وعناءً وشِدَّةً، ولو كان يسيرًا، فيكون الثَّواب والأجر أن يُنفِّس الله تعالى عنه كُربةً مِن كُرَبِ يوم القيامة، وأنَّ مَن يسَّر على مُعْسِرٍ في الدُّنيا وذلك بإنظاره إلى ميسرةٍ، أو بالوضع عنه إن كان مديونًا، أو إعطائه مَا يزولُ به إعْسَارُه، فجزاؤهُ أن يُيَسِّر الله تعالى عليه في

الدُّنيا والآخرة مُقابل تيسيره على عبده، وأنَّ مَن رأى مِن أخيه قبيحٍ سَتَرَهُ ولم يُظْهِرهُ للنَّاس، فيكون جزاؤه أن يستر الله تعالى عورته أو عيوبه في الدُّنيا والآخرة، وأنَّ مَن أعان أخاهُ أعانه الله، ومَن كان ساعيًا في قضاء حاجات أخيه، قضى الله تعالى حاجاته.

الثَّانية: فضل العِلم:

كما أخبر النَّبيُّ ﷺ في قوله: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"، فمَن سَلَكَ طريق العلم، كحِفْظِهِ ومدارسته ومذاكرته ومُطالعته وكتابته والتَّفهُّمِ له، ويلتمس العِلم مِن أفواه العُلماء وبطون الكتب أو يُراجع ويبحث فيها، يسَّر الله تعالى له عملًا صالحًا يُوصِلُه إلى الجنَّة؛ لأنَّ العلم الشَّرعي تُعرَفُ أوامرُ الله ونواهيه، فيُستَدَلُّ به على الطَّريق الذي يُرضي الله تعالى، ويُوصِلُ إلى الجنَّة.

الثَّالثة: فضلُ تلاوة القرآن الكريم ومُدارسته:

حيث قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"، فبيَّن فيه جزاء الذين يجلسون في بيت الله يتدارسون القرآن الكريم، وكل مَن اجتمع على ذِكْر الله تعالى في أربعة أشياء،

وهي: أنَّ السَّكينة تنزل عليهم، وأنَّ الرَّحمة تغشاهم، وأنَّ الملاكة تحفُّهم، وأنَّ الله يذكُرهم فيمن عنده مِنَ الملأ الأعلى مُباهاةً بهم.

ثمَّ يختمُ النَّبيُّ ﷺ الحديث بالحثِّ على علوِّ الهمَّة في العِلم والعمل، وعدم الاتِّكال على شَرَف النَّسب، أو أي عَرَضٍ مِن أعراض الدُّنيا، وألَّا يُقصِّر المرء في العمل؛ لأنَّ مَن كان عَمله ناقصًا لم يُلْحِقْهُ نَسبُهُ بمرتبة أصحاب الأعمال، فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ".

الحديث السادس والثلاثون

فَضْلُ صِلةُ الرَّحِم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِم(١).

غريب الحديث

* يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ: يُوسَّع له في الرِّزق.
* يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ: أن يؤخَّر في أجله، بأن يُبارك له في عمره.

المعنى العام

إنَّ مِن مقاصد الإسلام العالية، وركائزه العِظام السَّامية، نشرُ المحبة والأُلفة بين العباد، ونبذ التَّخاصم والتَّدابر والأحقاد؛ لذلك أمرت الشَّريعة بالأخلاق الفاضلة، ومنها: الأمر بصلة الأرحام والنَّهي مِن القطيعة والخصام.

وصلة الرَّحِم مِن أوجب الواجبات، وأعظم الطَّاعات والقُربات، وقد أَمَـرَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرِّزق بصلة الرَّحم، ح٥٩٨٥، (٨/ ٥)، ورواه مسلم عن أنس بن مالك في كتاب: البر والصِّلة والآداب، باب: صلة الرَّحم وتحريم قطيعتها، ح٢٥٥٧، (٤/ ١٩٨٢).

الله تعالى بها فقـــــال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]، وهي مِن أوَّل الأمور المهمَّة التي دعَا إليها النَّبيُّ ﷺ في أوَّل بعثته، ففي حديث سفيان ابن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ هرقل عظيم الرُّوم قال له حينما سأله عن رسالة النَّبيِّ ﷺ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ[2].

وبها يزيدُ الله تعالى في العُمر، ويبسط في الرِّزق، ويَصِل مَن وصلها، وهي مِن أسباب المحبَّة بين الأهل والأقارب، بل هي مِن علامات كمال الإيمان، ففي الحديث قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[3]، وهي مِن أعظم الأسباب الموجبة لدخول الجنَّة والوقاية مِنَ النَّار، فقد قال رسول الله ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"[4].

---

(١) سورة النساء: ١.

(٢) رواه البخاري، باب بدء الوحي، ح٧، (١/ ٨).

(٣) واه البخاري في كتاب: الآداب، باب: إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه، ح٦١٣٨، (٨/ ٣٢).

(٤) رواه ابن ماجه، ح١٣٣٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٢٩٨).

وأمَّا قطيعةُ الرَّحِم فهي مِن أعظم الذُّنوب وأخطر الآفات؛ لأنَّها تُسبِّبُ العقوبة في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾(١)، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"(٢)، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ"(٣).

وتحصُل صلة الرَّحم بالإحسان إليهم بما يتيسَّر مِن أنواع الإحسان، كتقديم المال لهم، والعون على الحاجة، وطلاقة الوجه، والدُّعاء، والتَّناصح، والتَّغافل عن زلَّاتهم وغير ذلك ممَّا أمكن مِن فِعل الخير لهم، ودفع مَا أمكن مِنَ الشَّرِّ عنهم.

(١) سورة محمد: ٢٢-٢٣.

(٢) رواه أبوداود، ح٤٩٠٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٨٨).

(٣) رواه مسلم في كتاب: البرِّ والصِّلة والآداب، باب: صلة الرَّحم وتحريم قطيعتها، ح٢٥٥٦، (٤/ ١٩٨١).

الحديث السابع والثلاثون

الوَصِيَّةُ بِتَرك الغَضَب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

المعنى العام

إنَّ هذا الحديث مهمٌّ في باب إصلاح أخلاق النَّاس وتزكية نفوسهم، وهو جليلُ القدر مع صِغَرِه، فهو مِن جوامع الكَلم؛ لأنَّه جَمَعَ بينَ خيريَّ الدُّنيا والآخرة، ويتضمَّن دَفع أكثر شرور الإنسان.

وبهذه الوصيَّة الوجيزة الجامعة يشير النَّبيُّ ﷺ إلى خطرِ هذا الخُلق الذَّميم؛ لأنَّ الغضبَ جَمَاع الشَّرّ، ومصدر كلّ بليَّة، وأنَّ التَّحرُّزَ منه جماع الخير.

فعلى المسلمُ ألا يتعرَّض لأسباب الغضب والأمور التي تجلب الغضب، ويجتنب مَا يحمله عليه مِنَ الأقوال والأفعال؛ لأنَّ الغضب يجعل الشَّخص يتعدَّى حدَّ العدل إلى الظلم والجور، فقد يُعاقب أكثر ممَّا يستحق، ويجعله يتغيَّر في

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ح٦١١٦، (٨/ ٢٨).

ملامحه وتصرُّفاته، ويحمل صاحبه على الشَّتيمة والقتل، ويُورثُ في القلب الحقد والبغضاء، وهو سببٌ لقطع كثيرٍ مِنَ العلاقات بين الأرحام.

وقد امتدحَ الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقـــال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾[١]، وأثنى على الكاظمين الغيظ، وأخبر أنَّه يحبُّهم بإحسانهم في ذلك بقوله: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٢].

ومدحَ النَّبيُّ ﷺ الذي يملكُ نفسه عند الغضب فقال: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"[٣].

وهناك أدويةٌ نافعةٌ لِمَن عَمِلَ بها ذَهَبَ عنه الغضب، منها:

١- التَّعوذ بالله مِنَ الشَّيطان الرَّجيم، سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ

---

(١) سورة الشورى: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب الحذر مِنَ الغضب، ح٦١١٤، (٨/ ٢٨).

قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ(١).

٢- تغيير الحال التي كان عليها وقت غضبه، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا: "إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ"(٢).

٣- السُّكوت عن الكلام، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلا تُعَسِّرُوا، وإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ"(٣).

وكذلك الإكثار مِن ذِكرِ الله تعالى، والوضوء، والابتعاد عن أسباب الغضب، والقيام مِنَ المجلس الذي فيه اللَّغط، وغيرها مِنَ الأمور الأخرى التي تُشْغِل الإنسان عن الغضب.

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر مِنَ الغضب، ح٦١١٥، (٨/ ٢٨).

(٢) رواه أبو داود، ح٤٧٨٢، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٩٠، (١/ ١٨٠).

(٣) رواه أحمد، ح٢١٣٥، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم ٤٠٢١، (٢/ ٧٤٤).

الحديث الثامن والثلاثون

تَغيِيرُ المُنكَرِ فَرِيضَةٌ إِسلامِيَّةٌ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

المعنى العام

إنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر مِنْ أوجب الأعمال وأهمِّ أمور الدِّين، ولا قوام لدين الإسلام إلَّا به؛ فبالقيام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تعلو كلمة الله تعالى، ويظهر دينه، وبترك ذلك يضعف الإسلام وأهله ويظهر الباطل وحزبه.

وقد أثنى الله تعالى على القائمين بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ووصفهم بالخيريَّة، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢]، وهو سببٌ مِنْ أسباب الرَّحمة

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النَّهي عن المنكر مِنَ الإيمان، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجبان، ح٤٩، (١/ ٦٩).

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

والرِّضوان والفوز بالسَّعادة الأبديَّة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١].

ويجبُ تقديم الرِّفق في الأمر والنَّهي، والدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٢]، كما يجبُ الصَّبر على أذى الخَلْق في الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، عملًا بقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٣].

ويُشتَرط في تغيير المنكر شروطٌ منها:

١- أن يكون النَّاهي عن المنكر عالمًا بما ينهى عنه.

٢- أن يتأكد بأنَّ معروفًا قد تُرِك، وأنَّ منكرًا قد ارتُكِب.

---

(١) سورة التوبة: ٧١-٧٢.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة لقمان: ١٧.

٣- ألا يُغيِّر المنكر بمنكر، وألَّا يؤدي تغيير هذا المنكر إلى منكر أكبر منه.

وقد بيَّن الحديث أنَّ إنكار المنكر يكون بحسب استطاعة المرء وقدرته؛ لذلك يكون على درجاتٍ ومراتب، وهي:

المرتبة الأولى: باليد، وهذه للأمراء والأولياء؛ وقد شَرَعَ الله تعالى الحدود لبيان إزالة المنكر باليد، فشَرَعَ القصاص لتُحفظ به النُّفوس، وشرع حدَّي القذف والزِّنا لتُحفظ بهما الأعراض، وشَرَع حدَّ السَّرقة لتُحفظ الأموال، وحدَّ الخمر لتُحفظ العقول.

المرتبة الثَّانية: تغيير المنكر باللِّسان، وهذه للعلماء والدُّعاة ومَن تحقَّق لديه أمر المنكر، ولا يُعذَر بتركه أحدٌ قَدَرَ عليه، وتكون بالموعظة وبالنَّصيحة.

المرتبة الثَّالثة: بالقلب، وهذه لا يُعذَرُ بها مؤمن، ومَن لم يستطيع أن يُنكِر بقلبه فليس في قلبه شيءٌ مِنَ الإيمان، والإنكار بالقلب يقتضي بُغضُ أهل المعصية عند الإصرار، والتَّحذير مِن شرِّهم.

الحديث التاسع والثلاثون

مَنْزِلَةُ الرِّفْق

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ(١).

المعنى العام

إنَّ الرِّفقَ مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، فلا يكونُ في شيءٍ إلَّا زيَّنهُ وجمَّله وحسَّنه، ولا يُنزعُ مِن شيءٍ إلَّا شانهُ وعابهُ وقبَّحه؛ ولهذه الأهميَّة الكبيرة أَمَرَ الله تعالى به، فقال مُوَجِّهًا نبيَّه ﷺ بهذا الخُلُقِ العظيم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٢).

والرِّفقُ هو لِين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضِدُّ العنف، وقد يجيء الرِّفق - أيضًا - بمعنى التَّمهُل في الأمور والتَّأنِّي فيها، وهو

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، ح٦٠٢٤، (٨/ ١٢)؛ ومسلم في كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، ح٢١٦٥، (٤/ ١٧٠٦).

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

تعالى يحبُّ مِن عباده: أهلَ الرِّفق، ويُعطي على الرِّفق مَا لا يُعطي على العُنف. فإنَّ مَن آتاه الله تعالى الرِّفق فقد أعطاهُ خيرًا عظيمًا مِنَ الثَّناء الحسن، والتَّوفيق، وصلاح البال، وطمأنينة النَّفس، ونيل المطالب، وتحقيق المآرب، وفي الآخرة أجرٌ عظيم، وثوابٌ جزيل؛ ذلك بأنَّ المُتأنِّي الذي يأتي الأمور بسكينةٍ ورفقٍ اتِّباعًا لسُننِ الله تعالى في الكون، واتِّباعًا لنبيِّه ﷺ، فإنَّ مَن كان هذا هديه وطريقه؛ تيسَّرت له الأمور، وبالأخصِّ الذي يحتاج إلى أَمْرِ النَّاس، ونهيهم، وإرشادهم، فإنَّه مضطَّرٌ إلى الرِّفق واللِّين.

وكان النَّبيِّ ﷺ رفيقًا هيِّنًا ليِّنًا سهلًا في تعامله، وفي أقواله وأفعاله، وكان يحبُّ الرِّفق ويحثُّ النَّاس عليه، ويُرغِّبهم فيه. ولا يستعمل الشِّدَّة إلَّا في أحوالٍ خاصَّة كانت الشِّدَّة فيها هي اللَّائقة بها، والمناسبة لها، وتتحقَّق فيها المصلحة أكثر مِنَ الرِّفق، وسلوكها مقتضى العدل وكمال العقل الذي دلَّ عليه الشَّرع كما في إقامته الحدود والتَّعزير وقتال الكفَّار.

فالخيرُ كلّ الخير في الرِّفق، فما عَمِلَ أَحَدٌ بالرِّفق إلَّا وَجَدَ مِن وراءه خيرًا، ومَن حُرِمَ هذا الخُلُق فإنَّه يُحرم الخير، فَعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ"(١).

(١) رواه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، ح٢٥٩٢، (٤/ ٢٠٠٣).

الحديث الأربعون

البِـــرُّ والإثـــمُ

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" رواه مُسلم(١).

غريب الحديث

* الْبِرُّ: التَّوسُّع في فِعل الخير؛ فهو اسمٌ جامع للخير، وكل فِعل مرضي.
* وَالْإِثْمُ: المعاصي والذُّنوب بحقِّ الله تعالى.
* حَاكَ: تردَّد وتحرَّك.

المعنى العام

إنَّ هذا الحديث مِن جوامع كَلِمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو يبحثُ في بيان أمرين عظيمين هما: البِرُّ والإثم.

الأمر الأوَّل: البِرُّ، ويكونُ مع البِرُّ مع الخَلْق، ويكونُ مع الخالق، فأمَّا البِرُّ مع الخَلْق إنَّما يكونُ بالإحسان في معاملتهم، وهو بذل النَّدى، وكفُّ الأذى،

(١) رواه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم، ح٢٥٥٣، (٤/ ١٩٨٠).

والعفو عن المسيء وغير ذلك.

وأمَّا البِرُّ مع الخالق: فيكون شاملًا لجميع أنواع الطَّاعات الظَّاهرة والباطنة؛ لذلك فإنَّه يُطلق على العبد بأنَّه مع الأبرار إذا امتثل تلك الأوامر، ووقف عند حدود الله تعالى وشرعه.

والأمر الثَّاني: الإثم، وله علامتان يعرفه المسلم بهما، وهما: علامةٌ ظاهرة، وعلامةٌ باطنة، فأمَّا العلامة الباطنة: فهي مَا يشعر به المرء مِن قلقٍ واضطرابٍ في نفسه عند ممارسة هذا الفعل، ومَا يحصل له مِنَ التَّردُّد في ارتكابه، وهذا دليلٌ على أنَّه إثمٌ في الغالب.

وأمَّا العلامة الظَّاهرة: فهي أن تكره أن يطَّلع على هذا الفعل الأفاضل مِنَ النَّاس والصَّالحون منهم، بحيث يكون الباعث على هذه الكراهيَّة الدِّين، لا مجرَّد الكراهيَّة العادية.

وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فِهرِس

بين يدي الرسالة ١

تقديم الشَّيخ صالح بن محمَّد باكرمان ٣

مقدمة المؤلف ٤

الحديث الأول: أَركَـانُ الإِسـلامِ ٥

الحديث الثاني: مَـن هُـو المُسْـلِم ٩

الحديث الثالث: فضلُ تعلُّمِ القُرآن وتَعلِيمه ١١

الحديث الرابع: الوالدانُ أحقُّ النَّاس بحسنِ الصُّحبَة ١٣

الحديث الخامس: الفَضلُ العَظِيمِ لحُسنِ الخُلُقِ ١٥

الحديث السادس: مِـن آدَابِ الطَّعَامِ ١٧

الحديث السابع: مِنَ الإيمانِ أَن تُحبَّ لأخيكَ مَا تُحبُّ لنفسِكَ ٢٠

الحديث الثامن: التَّحرِّي في اختِيارِ الصَّدِيق ٢٢

الحديث التاسع: التَّعَاون بَينَ المُؤمِنِين ٢٤

الحديث العاشر: مِنَ الآدابِ الإِسلامِيَّةِ ٢٦

الحديث الحادي عشر: أَكبَرُ الكَبَائِرِ ٢٨

الحديث الثاني عشر: الحَلْفُ بِغَيرِ اللهِ شِرْكٌ ٣١

الحديث الثالث عشر: حبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ الإِيمَانِ ٣٣

الحديث الرابع عشر: أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلى اللهِ ٣٥

الحديث الخامس عشر: الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ ٣٨

الحديث السادس عشر: الأُخُوَّةُ الإِسْلامِيَّة ٤٠
الحديث السابع عشر: مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ ٤٣
الحديث الثامن عشر: فَضْلُ الفِقْهِ فِي الدِّينِ ٤٥
الحديث التاسع عشر: السَّلَامُ بَرِيدُ المَحَبَّة ٤٧
الحديث العشرون: تَحرِيمُ النَّمِيمَة والتَّلَوُّثِ بِالنَّجَاسَةِ ٥٠
الحديث الحادي والعشرون: حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ ٥٣
الحديث الثاني والعشرون: الصِّدْقُ طَرِيقٌ لِكُلِّ خَيْرٍ ٥٦
الحديث الثالث والعشرون: تَحْرِيمُ الغِشِّ فِي الإِسْلَامِ ٥٩
الحديث الرابع والعشرون: مُصَاحَبَةُ المُؤمِنِينَ ٦١
الحديث الخامس والعشرون: إِكْرَامُ الجَارِ وَالضَّيْفِ وَحِفْظ اللِّسَانِ مِنَ الإِيمَانِ.. ٦٤
الحديث السادس والعشرون: تَحرِيمُ الكِبْر، وَأَهمِّيَّةُ النَّظَافَةِ فِي الإِسْلَامِ ٦٧
الحديث السابع والعشرون: خِصَالُ الخَيْرِ وَفَضَائِلُهَا ٦٩
الحديث الثامن والعشرون: تَحْرِيمُ التَّشَبُّهِ بِالكُفَّارِ ٧١
الحديث التاسع والعشرون: حَثُّ المُؤْمِن عَلَى القُوَّةِ والهِمَّةِ العَالِيَة ٧٣
الحديث الثلاثون: تَحرِيمُ سَبِّ المُسلِمِ وَقِتَاله ٧٦
الحديث الحادي والثلاثون: مِنَ الكُفرِ إِتيَان الكَهَنة والعَرَّافِين ٧٨
الحديث الثاني والثلاثون: إِبطَالُ البِدَع فِي الدِّينِ ٨٠
الحديث الثالث والثلاثون: المُؤمِنُ بَينَ الشُّكرِ والصَّبرِ ٨٣
الحديث الرابع والثلاثون: حِفْظُ اللِّسَان والفَرْج ٨٥
الحديث الخامس والثلاثون: فَضْلُ إِعَانة المُسلمينَ في وَقتِ الحَاجةِ وفَضل العِلم

والقُرآن ٨٨
الحديث السادس والثلاثون: فَضْلُ صِلةُ الرَّحِم ٩٢
الحديث السابع والثلاثون: الوَصِيَّةُ بِتَركِ الغَضَبِ ٩٥
الحديث الثامن والثلاثون: تَغيِيرُ المُنكَر فَرِيضَةٌ إِسلَامِيَّةٌ ٩٨
الحديث التاسع والثلاثون: مَنْزِلَةُ الرِّفق ١٠١
الحديث الأربعون: البِرُّ والإثمُ ١٠٣
فِهرِس ١٠٥

الحمد لله

الرَّوْضَةُ النَّدِيَّةُ

فِي شَرْحِ الأَرْبَعِينَ الحَضْرَمِيَّةِ

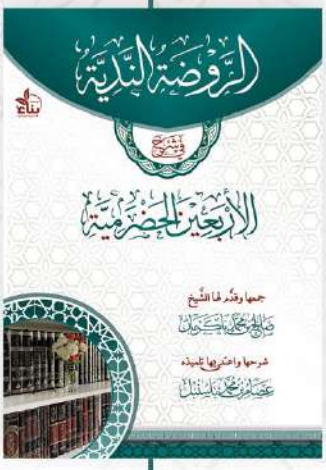

د. عصام بن محمد باسنبل